كتب الادب القديمة والحديثة

- ٣ -

بعد ان انتهيت من الكلمة الأولى في زهر الآداب عثرت في جدول الأغلاط الملحق بالجزء الأول على ثلاث كلمات بين فيه صوابها فأحببت أن أعرض القراء عنها باضعافها فأعدت النظر في الجزء الأول فرأيت فيه ما يأتي :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال في صفحة ١٠٧ — وأصاب شواكل المراد . وطبق مفاصل السداد . وقال في الذيل الشواكل جمع شاكلة وهي مابين الأذن والصدغ . والصواب وهي البياض ما بين الأذن والصدغ . وهذا بعيد عن مراد المتكلم فالأولى تفسير الشاكلة بالخاصرة لقولهم أصاب شاكلة الرمية اي خاصرتها . واصاب شاكلة الصواب . وهو يرمي برأيه الشواكل .

وفي ص ١١٧ — فليس في قوس احسان وراءها منزع . قال في الذيل منزع على وزن منبر السير الذي ينتزع به ولم أجده بهذا المعنى والذي في الاساس . رماه بالمنزع وهو السهم البعيد المرمى . وفي اللسان الذي يرمى به ابعد مايقدر عليه لتقدر به الغلوة . وفي القاموس السهم الذي ينتزع به .

وفي ذيل ص ١٢٧ — والجمام بكسر الجيم الراحة . وفي اللسان والجمام بالفتح الراحة . وفي القاموس والجمام كسحاب الراحة . وفي المصباح وجمام الفرس بالفتح لا غير راحته . وكذلك قال الفراء فما نقله عنه التاج .

وفي ذيل ص١٢٩ — الكعاب اطراف القنا . وفي كتب اللغة الكعاب جمع كعب وهو الانبوبة بين العقدتين وقيل العقدة مابين الانبوبين .

وفي ص ١٢٩ — اعز مكان في الدنا . والصواب في الدنى جمع دنيا .

وفي ص ١٣٢ — من بحر البدر النضار لمن قرا ٠ والصواب قرى لأنه من باب رمى كما في المصباح ٠

وفي ص ١٥١ — صاحت إذن بعلي ٠ والصواب صاحب وفيها عُرْس ٠ ضبطت بضم فسكون والصواب بكسر فسكون ٠

وفي ذيل ص ١٥٢ — المقفل الطيب القلب ٠ وفي القاموس المقفل من لا فطنة له ٠

وفي ص ١٦٢ — بتفسح ٠ ضبطت بكسر السين وقد ضبطه في المصباح بفتحها ٠

وفيها السحالة النخالة ٠ وفي التاج والسحالة بالضم ما سقط من الذهب والفضة ونحوهما اذا برد ٠

وفيها فسر القارح بالأغر والقارح من ذوات الحافر كالبازل من الابل ٠

وفي ص ١٦٣ — ابو دعبل الجمحي ٠ والصواب ابو دهبل ٠

وفي ص ١٦٩ — الفصح النصارى ضبط بضم الفاء ٠ والصواب كسرها ٠ والفتح عامي ٠

وفيها ريق المطر ٠ الغزير منه ٠ وفي القاموس اوله ٠ والريق ان يصيبك من المطر يسير ٠

وفي ص ١٧١ — الماء المقضض ٠ والظاهر انه المنقض ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفيها على اعلا سماواته والصواب اعلى ٠

وفي ص ٧٢ — الزرافين الآلات يرفع بها الماء فترى له عليها بريقاً ولمعاناً ٠ وفي القاموس والتاج الزرفين ٠ حلقة للباب ٠ او عام ٠ ومنه درع ذات زرافين ٠ ولم اجد من ذكر الزرافين بمعنى الآلات ولعل الاستاذ أراد الزرافات وهي المنازف التي ينزف بها الماء للزرع وما اشبهه ٠ ولكنها غير الزرافين ٠

وفي ص ١٧٦ — فسر النفق بالسرداب ٠ والنفق سرب في الارض مشتق الى موضع آخر اي له مخلص الى مكان آخر ٠ والسرداب بناء تحت الارض للصيف فبينهما فرق واضح ٠

وفي ص ١٨٢ — مذق اللسان ٠ يمزج الجد بالهزل ولم اجده بهذا المعنى وانما يقال فلان مذق اذا كان ملولاً غير مخلص ٠

وفي ص ١٩٦ — كما هوى من عضاه الزبية الاسد ٠ قال في تفسيره العضاه جمع عاضهة وهي الحية تقتل لساعتها ٠ والصواب ان العضاه جمع عضاهة او عضهة وهو اعظم الشجر او كل ذات شوك ٠

واما الحية فيقال لها العاضة والعاضهة وهذه لاتجمع على فعال ولم اجد من نقل جمعها كذلك . وبعد كل هذا فان اصل الرواية كما حوى عن غطاء الزبية الأسد . كما رواه المبرد في الكامل .

وفي ص ١٩٨ — اشاط دمي شخص علي كريم . قال في تفسيره اشاط احرق . ولا معنى للاحراق هنا . بل من قولهم اشاط دمه اذا عرضه للقتل او اهدر دمه . او من اشاط دم الجزور اذا سفكه واراقه .

وفي ص ١٩٩ — من شاب شبن له المودة ضبط شبن بكسر الشين وهي من الشيب والصواب ضمها . من الشوب بمعنى المزج والخلط .

وفيها أذال ذيول الهوى . قال في تفسيره أذال أهان . ولا يلتئم هذا التفسير مع قوله : جرّ إزار الصبا فالاً ولى أن يقال أطال او أرخى .

وفي ص ٢٠١ — قبل ان تدرج لدائه . والصواب لداته .

وفيها عمر بن قمئة . والصواب عمرو بن قميئة .

وفي ص ٢٠٤ — حرزاً لشلو من الاعداء مشحون . وهو في ديوان ابن الرومي . حرزاً لشلو من الآفات مشحون .

وفيها فسر النون بالتمساح وهو تخصيص غريب لم أجده لغيره .

وفي ص ٢٠٥ — رقاق الثنايا عذبة المترنق . قال في تفسيره المترنق العين وتقول رنق النوم في عينيه خالطهما وهو تفسير بعيد يقسم ابو حية النميري انه لم يرده . فالصواب ان يقال المترنق الريق المصفى من قولهم رنق الماء صفاه عن الكدر . وهذا يلتئم مع قوله :

سقتني بكأس الحب صرفاً مروقا رقاق الثنايا عذبة المترنق

وفي ص ٢١١ — صليل البيض تقرع . ضبط البيض بكسر الباء والصواب فتحها .

وفي ص ٢١٤ — اذا طرب الطائر المستحر . قال المستحر الحران . والصواب المغرد في السحر يقال استحر الطائر اذا غرّد في السحر واستحر الديك صاح فيه .

وفي ص ٢١٨ — مقدم بسبا الكتان ملثوم . أراد بسبائب . قال في تفسيره : السبائب جمع سبيبة وهي الحبل . والصواب ان السبيبة شقة كتان رقيقة . وبعضهم خصها بالبيضاء وبه فسر قول علقمة المتقدم .

وفي ص ٢٢٨ — ثم دعا تسعة من رقيقة . والصواب من رقيقه .

وفي ص ٢٣٠ — فهل تستطيع . وبها يختل الوزن والصواب تسطيع .

وفي ص ٢٤٤ — أجنبنك الورد أغصان . والصواب والرواية أجنت لك الوجد .

***

وقد رأيت ان اجتزيء بثلاثين كلمة فا كثر أقدمها للقراء بدلاً عن تلك .

والآن أودع الجزء الاول وانا واثق باني أبقيت فيه لنظرة أخرى اكثر مما ذكرته وأعود الى سرد ما جاء في الجزء الثاني :

قال في ص ٨٦ — اذا كان في ايحاشهم والصواب ايحاشهم .

وفي ص ٩٠ — ذو مقلة بصرته منسية . وفي الديوان بصيرة مذهبة .

وفي ص ٩١ — لولاء ماصح خط دائرة . وفي الديوان شكل دائرة .

وفي ص ٩٢ — تمثال طرف بشكر الحذق مكبوح . والرواية بشكم جمع شكيمة وهي الموافقة لمكبوح .

وفي ص ١٠٧ — فلج بقلب ضبطت بكسر الفاء . والصواب فتحها .

وفيها . ورمى الكرى رأسي ومال به رمس . ولامعنى للرمس هنا . والظاهر انه رعس وهو هز الرأس في النوم .

وفيها واذا له علق وحشرجة . والصواب خلق وهو ضيق الصدر وقلة الصبر وهو الملائم لحشرجة .

وفيها . حتى دفعت به لمصرعه سوق المعيز تساق للعتر . قال في تفسيره العتر اسم نبات او شجر صغير . والصواب ان العتر هنا الذبح . ومنه العتر والعتيرة .

وفي ص ١٠٨ — باعلى ستاهي دالج . ولم أجد ستاهي فيما لدي من كتب اللغة .

وفي ص ١١٠ — اربتك ان شطت . ضبطت بضم التاء والصواب فتحها .

وفيها . الا ان حيا . ضبطت بفتح الحاء والصواب الكسر .

وفيها . متاعهم فوضى فضا . والصواب فوضى فضاً .

وفي ص ١١١ — قام الثقات . والصواب نام كما في الديوان والكامل .

وفي ص ١١٣ — من قرة يصطلونا . ضبطها بضم القاف والصواب كسرها .

وفي ص ١١٦ — والله لولا الخليفة والصواب لولا رضى الخليفة وبه يستقيم وزن البيت ·
وفي ص ١١٧ — مساك السحاب · ضبطت بكسر الميم والصواب فتحها ·
وفيها اذا غدى · والصواب غدا ·
وفي ص ١١٨ — في طلا الاعناق · ضبطت بفتح الطاء والصواب في طلى بضمها ·
وفي ص ١٠٩ — لهم احنة · والرواية بهم جنة ·
وفي ص ١٣٣ — أكلنا قريساً · ضبطت بضم القاف وفتح الراء · والصواب فتح الأول وكسر الثاني ·
وفي ص ١٤٥ — قد شذ هذا · والصواب شد ·
وفيها · نظل تلطم · والصواب تظل تلطم ·
وفي ص ١٥١ — ودمع العاشقة المرهاء · فسر المرهاء بالبيضاء · والصواب هي التي لا تكتحل ·
وفي ص ١٥٢ — او كهرق السالم · والصواب السام بغير مد رعاية للوزن والمعنى ·
وفي ص ١٥٥ — من برأي يعلو · والصواب برأي من يعلو ·
وفيها قد صاب آخر · والصواب صار ·
وفي ص ١٦٣ — ولا سايح · والصواب سانح
وفي ص ١٦٧ — وان سمع العلم وعا · والصواب وعى ·
وفي ص ١٦٨ — دعا صَبرد · والصواب صُرَّد
وفي ص ١٨ — فقلت الزبز ملهبة · والصواب المهاة ·
وفي ص ١٨٣ — عتبة بن ابي سفيان · والصواب عتبة ·
وفي ص ١٩٨ — فما بالوا · والصواب يألو ·
وفي ص ١٩٩ — الحلي بضم الحاء · والصواب كسرها ·
وفي ص ٢٠٧ — عتاد بكسر العين · والصواب فتحها ·
وفي ص ٢١٤ — لمع من حَمم · والصواب حُمم بضم الحاء ·
وفي ص ٢١٧ — جبال شدورى · والصواب شرورى ·
وفي ص ٢١٨ — كحلية العروس · والصواب كحلة ·

وفيها • والسوس الآزاد • والظاهر الآزر •
وفيها • ثمار الكنكر • والصواب الكبر •
وفي ص ٢١٩ — ثم سما • والصواب همى •
وفيها • احمره واصفره • بكسر الراء والصواب فتحها رعاية للقافية والاعراب•
وفي ص ٢٢٣ • تبريح الأحباب • والصواب ترنح •
ولنكتف بما اوردناه مما في الجزء الثاني تاركين فيه ما لا يقل عما ذكرناه خشية ان تدب السآمة الى نفس القاريء •

* * *

وقد افتتح الجزء الثالث بمقدمة قال فيها :
اجمع رجال العلم والأدب على استحسان المنهج الذي سلكته في احياء زهر الآداب• فقد ظهر الجزء الأول والثاني ولم اسمع من احد منهم غير الثناء • وقد زادني هذا التشجيع حباً فيما أعاني من التعب في ضبطه وتنقيحه وتفصيله وشرح ما فيه من الغريب الخ •
ومن وقف على الجزءين الثالث والرابع لا يسعه الا ان يدعو لهؤلاء المجمعين على الثناء • بان يوفقهم الله بعد اليوم حتى لا يقولوا الا الصدق ولا يثنوا الا بحق • وسيرى القاريء من الشواهد والأدلة على صحة هذا • مايغنينا عن الإطالة والإسهاب •
فمما جاء في الجزء الثالث (في ص ١) ذات الرقم (٥) البحتري • ولو لم يكن في كنه غير نفسه • الخ • والصواب ان هذا البيت لابي تمام •
وفي ص ٦ — الخمار بالضم ما يعتري الشارب من الألم عند فقد الشراب • والذي في لسان العرب والتاج وغيرهما • خمار الخمر ماأصابك من ألمها وصداعها وأذاها • فزيادة عند فقد الشراب غير صواب •
وفي ص ٧ — وحملك المسن على الرياضة عمى • والصواب عناء • وفي المثل ومن العناء رياضة الهرم •
وفيها • وبذل الانصاف • والصواب وبذلي •
وص ٨ — بغصه • وصوابها بغضه •
وفيها • عرصات السلطان • والصواب • مرضاة •

وفيها · القارح هو الذي بلغ تمام القوة والجذع دون ذلك · وفي اللسان وغيره · الفرس في السنة الأولى حولي ثم جذع ثم ثني ثم رباع ثم قارح فالمناسب لسياق القول وللمعنى اللغوي ان يقال القارح المسن · والجذع دونه ·

وفي ص ٩ — بان فضل شجاع الفضل الخ · وهذا يشبه كلام الحكل · والظاهر ان يقال فان فضل شاع الفضل في الزمان واهله ·

وفيها · وتحلت للعيون · والمناسب للمقام · وتجلى للعيون ·

وفيها · بتكثير قليلها الخ والصواب ولتكثير قليلها · وايضاح مجهولها سبباً الخ ·

وفي ص ١ — ان زل السلطان اتبعت الرذيلة · والمناسب لسياق الكلام · ان رذل ·

وفيها · بملتق طرفيها · والمناسب للمعنى والسجع · طرقها ·

وفيها · وحشية المضاع وجبيرة المرتاع · والصواب وحشة · وحيرة ·

وفيها · اوتزورهم وصوابها او تزرهم كما هي الرواية ·

وفي ص ١١ — يحوي الجد · والصواب يحو الجد بحذف الياء للجزم ·

وفيها · والفي فيئها · والاقرب الى الصواب نيها أي شحمها ·

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي ص ١٢ — فلا الاعجاز جازلة · وقال في تفسيره جازلة : اصابها الدبر · ورواية البيت خاذلة والدبر لا يكون في الاعجاز ·

وفي ص ١٣ — غناؤك به · والاولى له ·

وفي ص ١٤ — حسام جلت عنه العيون · والصواب القيون ·

وفي ص ١٥ — ابرى جورها · والصواب جوزها ·

وفيها · ومدرجة للريح غبراء · والصواب غبراء ·

وفي ص ١٦ — اعارتها المحاسن مشيها · والصواب المها · حسن مشيها ·

وفي ص ١٧ — وصراط في الشعر المستقيم نفى تيساره واوقد بالبقاع ناره · وفي العبارة ركاكة وتحريف والظاهر ان اصلها · نصب له مناره واوقد باليفاع ناره ·

وفي ص ١٩ — وسارية تزداد ارضاً · ولا معنى لها ولعل محرفة عن تزدار او ترتاد ·

وفيها · فتاة ترجيها · والصواب تزجيها ·

وفيها · والمخوط ضبطت بفتح الخاء · والصواب الضم كما في القاموس ·

وفي ص ٢١ — ومشرقة في النظم غُرّا ، ورواية البيت ، ومشرقة في النظم غَرّا ،
وفي ص ٢٢ — بالحصا ، والصواب بالحصى ،
وفي ص ٢٣ — وعصب اليمن بضم العين والصواب فتحها ،
وفي ص ٢٤ —

غدت تستجيز الدمع خوف نوى غد   وغذّى قتادى عندها كل مُرقد

هكذا اورد البيت وضبطه وهو مطلع قصيدة لابي تمام بلغ الغاية من الشهرة والجودة وصوابه ،

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد   وعاد قتاداً عندها كل مرقد

وفيها ، فاذرى لها الاشفاق ، والذي في ديوان ابي تمام فاجرى ،
وفيها ، تقفى زمام ، وصوابها ذمام ،
وفي ص ٢٥ — ومرامي وصوابها ومواس ،
وفيها ، وقد حذقوا ، وصوابها حنقوا كما في المصباح والقاموس ،
وفيها ، استبطي تفقا ، وفي الديوان استنبطي ،
وفي ص ٢٦ — من بنات الغيد وصوابها العيد
وفي ص ٢٧ — جليت جلاء الحضرمية ، وفي ديوان ابي تمام حذيت حذاء ..
وفيها ، قد حاكها ، وفي الديوان احذاكها ،
وفيها ، بمده حسب ، وفيه : جفر ، وهو انسب ،
وفيها ، ابكار اذا نفث ، وصوابها نصت ، من نص العروس اقعدها على المنصة ،
وفيها ، قد طوقت عناباً ، والانسب طرفت ، يقال طرفت المرأة بنانها خضبت اطراف اصابعها بالحناء ،
وفي ص ٢٨ —

تطير عنها حصى الفزان من بلد   كما توقد عند الجبهة الورق

وهذ البيت لا يمكن فهمه على هذه الصورة ، ولعل اصله ،

تطير عنها حصى الظرّان من بلد   كما تنقد عند الجهبذ الورِق

والظران جمع ظر وهو الحجر ، والجهبذ النقاد الخبير وحينئذ يصح اللفظ والمعنى ،

وفيها قول امرئ القيس :

كأن صليل المسرجين تشده

وصوابه كان صليل المرو حين تشده ·

وفيها اسمى الى الافلاك · والرواية اسمو ·

وفي ص ٢٩ — شُغِل المرء منظر ثم نطق

وأظن ان أصل البيت

يشغل المرء عن تظن ونطق فهو يصغي بظاهر وضمير

وفيها منعات كأنها حافلات · وصوابها مفعمات ·

وفي ص ٣٠ — ولم اعقل لمن حسابا · والرواية لم اغفل ·

وفيها · فاغار ذاك على يد · قلبي · والرواية على يدي قلبي ·

وفيهـا · كل اللباس عليها مَمْرض حسن · صوابها مِعْرَض · وهو ثوب تجلى فيه الجارية · وكذلك قوله ومَعرِضها · صوابه ومِعرَضها ·

وفي ص ٣١ — تام الصوت · صوابها تاغ ·

وفي ص ٣٢ — سقى بضرب من المزن · والاحسن بصوب ·

وفيها · بهوجد وعد · ووسواس ودق · والرواية وجد رعد ووسواس برق وهي أولى ·

وفيها · لجزى النسيم على غلائل خده · والاولى يجرى او لجرى ·

وفيها · لم يكن قبلها من الماء جرم حاض في نفسه بغير أوان

والظاهر حاصر نفسه أو حاضن نفسه لأن الماء لايحيض في نفسه ·

وفيها · مارآه خائب فاتثنى بغير امان · والمناسب خائف

وفي ص ٣٣ — وضروب طاربه لاتضرب · وصوابها وضروب ضربته لاتضطرب ·

وفيها · وقبل السماع منفهة الاسماع وأدام المدام · وصواب العبارة · وقبل · السماع متعة الاسماع وإدام المدام ·

وفيها منهدة من عِتاد الملوك · والصواب مهندة من عَتاد الملوك

وفي ص ٣٤ — وحسن العهد والبغيا · والصواب والبقيا

وفيها · ولا بوردت · والصواب بودرت ·

وفيها · وتتاجيها التأليف · و صوابها وتناجها ·

وفي ص ٣٦ — ومستنبطاً بأنواره ظلم الجنان · ولااعلم كيف تستنبط الظلم بالانوار · والظاهر ان اصل الكلام · ومستنبطاً ماتواريه ظلم الجنان ·

وفيها · فكان من فرسان خيولهم وكنت عميدهم واقران نصرعليهم وانت صنديدهم · وهذه الجملة في غاية الركاكة · ولعل صوابها هكذا: وله فرسان خلق لهم وكنت عميدهم · واقران قصر عليهم و كنت صنديدهم ·

وفيها · مؤلفة مختلفة اركانها وطباعها الخ · ·

وهذه الجملة ركيكة متناقضة · وربما كان اصلها هكذا : يؤلفه مختلف انوائها ومتباين الوانها وانحائها · وتؤيده بقواها الخ ·

وفيها · فلما قادته السعادة التي ارته نسيج وحده في الاقلام الخ · والصواب قادته السعادة الي ورأيته نسيج الخ · وبهذا يلتئم اللفظ والمعنى ·

وفي ص ٣٧ — والصمامة مصلتها · والصواب والصمصامة ·

وفيها · للأيم بعثته · · وله اذا لم يجرها ·

ولعل صواب البيت

للايم تفثته · · · اذا لم يجره ·

وفي ص ٣٨ — والريح في جوفها حريق · والصواب خريق اي باردة شديدة الهبوب ·

وفيها · اي ثوبية ابتذل · والصواب اي ثوبيه ·

وفي ص ٣٩ — احدثت بعد باعتابي · والاولى بعدي ·

وفيها · وان امير المؤمنين اعفاني معناها الخ ·

والرواية · وان اميرالمؤمنين اغصني مفصها الخ · وفي هذه الابيات كلها اضطراب · وهي مذكورة على وجه صحيح في لسان العرب في مادة · برد ·

وفيها ان البرامك لاتنجيك النجية بصنجة الدين الخ · وهذا البيت لا يكاد يفهم ·

وفيها · وانما اجتازه فاخطره ذلك الزيارة · والاولى وانما اجتازبه فأخطر تلك الزيارة ·

وفيها · فادفع مقالتهم بثانية · وسياق القول يقتضي · بثالثة ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي ص ٤١ — بعد ماترأبين كان تلاق · والاولى بعدما قد ترين ·

وفيها · وادى اليها الحق فهو معينها · والأولى · امينها

وفي ص ٤٢ — مقيم بمستن الفلا والمقام يقتضي العلى ·

وفيها · اما غافر او معاتب · والظاهر او معاقب ·

وفيها · فاترك من هجرانك اليأس · والظاهر فاتزل بي هجرانك الخ ·

وفيها تثوب بساق · والظاهر تنوء بباق ·

وفيها · فاقلعن عنه راميات المخالب · والصواب داميات ·

وفيها · فها انا مغض في رضاك · والاولى مقصى ·

وفيها · اشبعت مشتاقاً · والصواب واشعث مشتاق ·

وفي ص ٤٣ — قصر سوقه · والظاهر شوقه ·

وفيها · هندي الحسام المضارب · والصواب حسام على حد قول ابي خراش · حسام الحد مذروباً خشيبا ·

وفيها · لو رأتني درّى الجادة فردا · ولعل اصله اطوى المحارة وهي المكان يحار فيه · او بذي المجازة فردا ·

وفيها · بين صرحي ومغنى اعوادي · ولعل اصله بين سرجي·

وفيها · على الخدين محول · وسياق القول يقتضي · محلول ·

وفي ص ٤٤ — ماعلى الرزح الرقائل · والصواب المراقل جمع مُرقل · والذي في الديوان · ماعلى الوسج الرواتك ·

وفيها · ظرف الصداقة · من ظرف العلاقة · والظاهر ارق من ظرف العلاقة ·

وفيها · وارا كها وعدادها · والظاهر · وعرادها وهو الغليظ من النبات ·

وفي ص ٤٥ — قالت الورد والمدامة والبد ر ضيائي ولونخدي ووجهي والتقسيم يقتضي ان يكون رضابي بدلاً من ضيائي ·

وفيها · بجدران اسى · وصوابها بحوران ·

وفيها · اطلقت من السب · والصواب حي الشيب ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي ص ٤٦ — وله فصل الى بعض اخوانه يعتذر لك ان يعتب الخ والعبارة في غاية الركاكة والغموض ولعل اصلها وله فصل الى بعض اخوانه يعتذر اليه ·

لك ان تعتب ولشبهك ان يعذر فهب اقل الامرين الخ :

وفيها · الحزن احسن من كلامه · والصواب الخرس ·

وفيها · قصير جامع الكتابة · وصوابها باع ·

وفي ص ٤٧ — ويستفهي الصدر · والظاهر يسجي او يشجي ·

وفيها · وينقش الانقاس · والصواب ينفش اي يشعث او ينقس او يعيب ·

وفي ص ٤٨ — اللطيف فعمم · وصوابها فعمهم ·

وفي ص ٤٩ — وأضاء له نور الزجاجة · صوابها الرجاحة ·

في ص ٥٠ —وشحذت مدارس الادب فواصله · وصوابها فياصله ·

وفيها · تسوء شكوكه ببيانه الخ · والظاهر يشوب الخ ·

وفي ص ٥١ — مطالعاً يمينه · والظاهر مطالباً ·

وفيها · كأنه وعمارة تجاريا كلاً واحداً · وسياق الكلام يقتضي هكذا : كأنه وعمارة تجاذبا كلاماً واحداً ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي ص ٥٢ — لماحتف صرفه · وصوابها لما خفت ·

وفي ص ٥٣ — وتلقانا شاب · وصوابها · وتلقاءنا·

وفي ص ٥٥ — فقلت ياسادات نفسي صبراً · وصوابها قتلت· الخ ·

وفيها الاسكندي · وصوابها الاسكندري ·

وفيها الم تكن فينا وليدا · والرواية الم نربك فينا وليدا·

وفيها · البعيث المنقري · والمعروف ان البعيث الذي هجاه جرير · مجاشعي فليتأمل ·

وفي ص ٥٦ —شجيج الغزال · وصوابها القذال ·

وفيها · ومحتفل دائر · والظاهر داثر

وفي ص ٥٧ — فما لم في الفلا والظاهر في العلى ·

وفيها · ولا لم في الوغا وصوابها الوغى كما نص عليه أئمة اللغة ·

وفيها · يتعفي القوم · والظاهر النوم ·

وفي ص ٥٨ — من لأود وصوابها من الأود ·
وفيها · ومذهب مقروض · وصوابها مرفوض ·
وفي ص ٥٩ — احق الناس باللؤم · وسياق القول يقضي ان يكون · باللوم ·
وفيها ·على الندى · وصوابها على الذي ·
وفيها · أكثر صارخاً واشد معيبة · ولعل الاصل واشد معتبة ·
وفيها · لماهجوتك · وصوابها ولما ·

سليم الجندي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

— ٢ —

ثم رحلنا من هنا وسرنا نحو القبلة فاجتزنا قره مغرط الى ان وصلنا بعد اثنتي عشرة ساعة الى انطاكية (١) .

---

(١) قره مغرط قرية صغيرة في اسفل قلعة بغراس وشرقيها كان في جوارها خان قديم دثر في العهد الاخير وتقضت احجاره بعد ان كان عامراً وصالحاً لايواء القوافل والمسافرين . وقد فات الجلبي ان يصف مايراه السائح على هذه الطريق التي عبدت من عهد قريب وطولها من طوب بوغاز الى انطاكية ثلاثون كيلو متراً . وهي تسير محاذية لسفوح الجبل الاحمر التي يتركها السائح على يمينه ويرى على يساره سهل العمق الفسيح وبحيرة انطاكية الزرقاء والمستنقعات الواسعة الممتدة حولها . وهو بعد مغادرة الطريق الصاعدة غرباً الى قره مغرط وقلعة بغراس التي ترى عن بعد يمر حذاء ضيعة تدعى بغلامة تعد فرضة على شاطئ المستنقعات المتصلة بالبحيرة وفيها القوارب الرفيعة التي تغدو وتروح في هذه المياه وفي المسالك المنشقة بين قصب الآجام يركبها الصيادون الذين يغدون في الربيع لقنص الاوز والبط ودجاج الماء والشقب وغيرها من الطيور المائية واسرابها تفوق الحصر وثمة الثعالب والخنازير البرية وكلاب الماء ايضاً . ثم تجتاز الطريق وادياً عريضاً حافلاً بالبساتين فيه قريتا بدركة العرب وبدركة الشركس ثم قريتا باقاري وسردلي وهنا يرى السائح في الافق الجنوبي جبل القصير وجبل الاقرع الشامخ كالهرم فوق البحر الى علو ١٧٥٩ متراً وبعد اجتياز قرية عواقية التي اتخذت قاعدة لناحية قره مغرط يودع المستنقعات ويدخل الارضين المحروثة والمزروعة من سهل العمق فيرى على يساره مخرج البحيرة الضيق يمتد من

الشمال الى الجنوب ويجري ماءه متثـاقلاً يبطء زائد وهو يلتوي كالافعى الى ان يلاقي العاصي. وماء المخرج اصفر اللون لزج مملوء بالحنكليس الذي يصطاد بكثرة ويملح ويصدر الى البلاد. وهنا يشاهد عن بعد في الأفق الجنوبي جبل حبيب النجار او سيلبيوس المشرف على انطاكية وفي الافق الغربي جبل موسى معقل أرمن هذه الديار (١٧٠٠ متر) ثم يسير محاذياً لنهر العاصي الذي ينحرف عند جسر الحديد من الشرق الى الغرب متجهاً نحو انطاكية فالسويدية. اما سهل العمق فقد قال الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية ما خلاصته: تبلغ مساحته ١٦٠٠٠٠ هكتار منها ٣٠٠٠٠ مما لا يمكن استغلاله يدخل فيه ٢٢٠٠٠ للمستنقعات و ٩ — ١٠ آلاف لبحيرة انطاكية. ويصب في هذا السهل ثلاثة انهر تأتيه من جبال عينتاب واللكام وجبل الكرد وهي عفرين ويغر اوالنهر الاسود وثمة نهير يدعى البراك ينحدر من الجبل الاعلى. وجل صخور العمق طباشيرية واراضيه طينية كلسية الا في قليل من المواضع تكون صلصالية والصخور بازالتية (حرّي). وكمية امطاره لا تزيد في السنة على الخمسمائة مليمتر وهواؤه وبيل ووطأة الحر فيه اشد منها في الساحل وتفوح من مستنقعاته رائحة تعافها الانفس تنشأ من تفسخ نباتات الآجام وتنتشر فيه سحب قاتمة من اسراب البعوض هي علة الوبالة (حمى البرداء) التي تفتك في اهله. وسبب وجود هذه المستنقعات كون ماء البحيرة لا يندفع بسهولة في المجرى الخارج منها الى العاصي حيث الميل لا يزيد في الكيلومتر عن عشرة سنتيمترات وثمة سكور اقامتها اهل شطوط البحيرة لاصطياد السمك لاسيما الحنكليس والسأور يدعونها داليان هي ايضاً من العثرات الواقفة في وجه الماء. ويقال ان مستنقعات العمق كانت قديماً اقل سعة مما هي عليه الآن ويعزى ازديادها الى الفتك بحراج جبل اللكام مما ادى الى انهيار التربة من سفحه وسيرها مدفوعة بالسيول الجارفة نحو السهل فرسبت في طريق انهره الثلاثة وتبسطت ولم يبق ثمة انحدار كاف لجريان الماء بسهولة فحدثت المستنقعات ومازالت تكثر بمرور الاعصر والاستمرار على تجريد الجبال من اشجارها حتى بلغت سعتها الحاضرة. ولو تسنى تجفيفها لطاب المناخ وامكن استغلال هذه المساحة الشاسعة بمختلف الزروع كالقطن وقصب السكر والأرز وغيرها. ويرى العارفون ان التجفيف يكون بازالة السكور التي وضعها الصيادون وبكري قاع البحيرة ومجرى العاصي

حتى انطاكية وتعميقها ليسهل جريان الماء وبفتح أخاديد واسعة تحصر فيها مياه الأنهر الثلاثة وغيرها من الينابيع الواردة الى العمق لتسيل فيها كما ينبغي · وجل أهل العمق عرب يسودهم نفر من سراة التركمان المنتسبين لآل مرسل وبعض الملاكين من الارمن وثمة بضع مئات من مهاجري الشركس في قرى الريحانية ويني شهر وضواحيها جاؤا منذ نصف قرن في زهاء مائتي بيت من مهاجري الارمن اختطت لهم السلطة الفرنسية منذ عهد قريب قرى في المرعى العسكري وغيره اه ·

قلت ويرى السائر الى انطاكيــة مستنقعات العمق وآجام القصب والاسل المنتشرة والباسقة فيه يتخللها كثير من القرى الصغيرة مما لا يمكن الوصول الى معظمها في زمن الفيضان الا بقوارب خاصة وبيوتها أخصاص من القصب المطلي بخثي البقر الجاف مكتظ بعضها ببعض بين الأوحال والادغال · وأهلها صفر الوجوه هزلى من وبال المرتع لكنهم مرزوقون في الجملة فهم يقلعون عرق السوس ويستدرون البان الجواميس ويبقى لهم قدر غير يسير من الغلة بعد اقتطاع مايصيب أصحاب القرى · والزروع الشتوية والصيفية في العمق تربو وتبسق كثيراً لزكاء تربته وهو على علاته مايرح منذ القديم ملجأ المعوزين من سكان الجبال والبقاع الممتدة بين ضواحي حلب الى شرقي اللاذقية يفدون اليه أفواجاً في السنين التي يصيبهم المحل كعامنا هذا (١٣٥) فيؤجرون من العمل في مزارعه الخصبة ويقتاتون ويمتارون بفضلات حصائده وأعشابه ثم يرجعون ·

وللعمق وبطائحه ذكريات عديدة في تاريخ أمم الشرق والغرب التي استولت او جاءت تستولي على انطاكية عاصمة شمالي الشام وعروس مدنها في العصور القديمة · فالآشوريون والحثيون والفرس واليونان والرومان والمسلمون والصليبيون والمصريون بقيادة ابراهيم باشا مروا من هذا السهل ذي المكانة الحربية الكبرى أوتطاحنوا فيــه بمعارك دامية · عرفه من ملوك المسلمين ابن طولون في حروبه مع سيما الطويل صاحب انطاكية سنة ٢٦٤ كما ذكرناه في بحث بغراس ووصف المتنبي مجاري العمق ووحوله في احدى قصائده يمدح بهــا سيف الدولة لما عزم على السفر من انطاكية الى حلب في ايام شديدة الامطار في سنة ٣٥٥ وكان أوقع في العمق باهل انطاكية الذين عصوا عليه قال :

وما أخشى نبوّك عن طريق   وسيف الدولة الماضي الصقيل

وكل شواة غطريف تمنى   لسيرك ان مفرقها السبيل

ومثل العمق مملوء دماء   مشت بك في مجاريه الخيول

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا   فاهون ما يمرّ به الوحول

وعرفه منجوتكين قائد جيش الفاطميين الذي اوقع بجيش ميخائيل البرجي نائب قيصر الروم في انطاكية وذلك في سنة ٣٨٤ وتعرف بوقعة المخاضة . وحصلت فيه بين نور الدين الشهيد وصليبي انطاكية حروب كثيرة اخصها المصاف الذي كان في سنة ٥٤٣ في ارض يغرا من العمق فانهزم الفرنج وقتل منهم وأسر جماعة كثيرة هذا عدا ما جرى لنورالدين حول قلاع حارم وارتاح وعم وعما جرى لصلاح الدين الايوبي وللظاهر بيبرس حول دربساك وبغراس وكلها من قلاع العمق المخصصة لحفظ انطاكية . اما حصن ارتاح الذي عده ياقوت من امنع الحصون في العواصم فقد دثر ولم يبق من رسمه الا اسمه واحدث في جواره قرية تدعى الآن « ريحانية » وكذلك الامر في عم التي ضاع رسمها واسمها وصار في مكانها قرية تدعى « بني شهر » ويسكن هاتين القريتين مهاجرو الشركس وفيهما ينابيع سارية ورباع مروية خصبة يزرعون فيها انواع البقول التي تحصل باكراً وتصدر الى حلب . قال ياقوت : عم بكسر اوله وتشديد ثانيه قرية غناء ذات عيون جارية واشجار متدانية بين حلب وانطاكية وكل من بها نصارى وقد نسب اليها قديماً قوم من أهل العلم والحديث قال ابن بطلان في رسالته التي كتبها في سنة ٥٤٠ الى ابن الصابي: وخرجنا من حلب الى انطاكية فبتنا في بلدة الروم تعرف بعم فيها عيون جارية يصاد فيها السمك ويدور عليها رحى وفيها مشارير للخنازير ومباح النساء والزنا والخمور امر عظيم وفيها اربع كنائس وجامع يؤذن فيه سراً اه . وقلعة حارم لاتزال رابضة باطلالها الدارسة فوق تلها المشرف على بلدة حارم التي اصبحت مركز قضاء وفيها عدد غير يسير من الدور والابنية الرسمية والحوانيت قال ابوالفداء : حارم بلدة صغيرة ذات قلعة وأشجار وأعين ونهر صغير . قال ابن سعيد هو حصن كثير الارزاق وقد خص بالرمان الذي يظهر باطنه من ظاهره مع عدم العجم وكثرة المياه . وقال عن دربساك : من جند قنسرين ذات قلعة مرتفعة ولها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكر أوليا جلبي نبذة من تاريخ انطاكية قبل الاسلام وبعده ونوه بفتحها على يد السلطان سليم العثماني عقيب معركة مرج دابق ثم قال ما خلاصته (١) : وعين السلطان اذ ذاك محمد باشا البيقلي واليًا على انطاكية

اعين وبساتين وهي خصبة ولها مسجد جامع ومنبر ولها من شرقيها مروج متسعة حسنة كثيرة العشب يمر فيها النهر الأسود وهي عن بغراس في الشمال بميلة الى الشرق وبينهما نحو عشرة اميال وفي شرقي دربساك بغرا وهي قرية اهلها نصارى صيادون يصيدون السمك وهي على بعد مرحلة من دربساك اه • قلت ويظن ان بغرا هي الآن قرية قالا التي اختص اهلها بصيد السأور في بحيرة بغرا وهذه تدعى الآن كولباشي وهي الى الشمال من جسر مراد باشا على طريق حلب — قرق خان • وقد مر ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ بالعمق بعد ان غادر حصن بغراس وقال عنها « حصن بغراس حصن منيع لا يرام عليه البساتين والمزارع ومنه يدخل الى بلاد سيس وهي بلاد الأرمن وامير هذا الحصن صارم الدين ابن الشيباني ولقد لقيت هذا الامير ومعه قاضي بغراس بموضع يقال له العمق متوسط بين انطاكية وتيزين وبغراس ينزله التركمان بمواشيهم لخصبه وسعته » • وقال شيخ الربوة شمس الدين محمد الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٧ في كتابه نخبة الدهر في عجائب البر والبحر : ومن الثغور الساحلية الجبلية دركوش ودربساك وبغراس وحجر شغلان والاسكندرونة وقصير انطاكية وبغرا وذا بحيرة حلوة من النهر الاسود بينها وبين بغراس اه •

(١) قال ياقوت في معجم البلدان يصف انطاكية في القرن السابع : ولم تزل انطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من اعيان البلاد وامهاتها موصوفة بالنزهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء و كثرة الفواكه وسعة الخير • وقال ثم لم تزل بعد ان فتحها ابو عبيدة بن الجراح في ايدي المسلمين وثغراً من ثغورهم الى ان ملكها الروم في سنة ٣٥٩ بعد ان ملكوا الثغور المصيصة وطرسوس وأذنة واستمرت في ايديهم الى ان استنقذها منهم سليمان بن قتلمش السلجوقي احد ملوك آل سلجوق في سنة ٤٧٧ فاستقام امرها وبقيت في ايدي المسلمين الى ان ملكها الافرنج بعد حصار شديد وطويل من واليها باغيسيان

ورامي علي افندي قاضياً وهي لاتزال بيدالعثمانيين فيها نائب ومحتسب ونقيب الاشراف وقاضي وكتخدا جند وسردار انكشارية ودزدار قلعة وفيها جنود وعتاد وعشرون مدفعاً بين كبير وصغير . وسور انطاكية مبني على خمسة

التركي على اثر خيانة احد قواده المسمى فيروز الارمني وذلك في سنة ٤٩١ . فلت وبقوا فيها الى ان افتتحها الملك الظاهر بيبرس عنوةً في سنة ٦٦٨ .

وقال ابو الفداء في القرن الثامن : « انطاكية قاعدة العواصم بلدة كبيرة ذات اعين وسور عظيم داخله خمسة اجبل وقلعة يمر بظاهرها نهر العاصي والنهر الاسود مجموعين وبها قبر حبيب النجار . قال ابن حوقل : انطاكية انزه بلدالشام بعد دمشق عليها سور من صخر يحيط بها وبجبل مشرف عليها ويجري مياههم في دورهم وسككهم ومسجد جامعهم ولها ضياع وقرى ونواح خصيبة جداً . قال في العزيزي ومساحة دور السور اثنا عشر ميلاً » .

وقال شيخ الربوة في القرن الثامن ايضاً : انطاكية قصبة السواحل وكانت احدى كراسي الروم وتسميها الروم تعظيماً لها مدينة الله كما تسمى الارض المقدسة وانطاكية من المدن القديمة ويحيط بها سور كبير يحيط على اربع جبال وشعاري ولها بساتين وحبيب النجار منها وله نصة في سورة يس في القرآن الحكيم في قوله تعالى : ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين . ولها فرضة تسمى السويدية عند الساحل عند مصب العاصي في البحر اه .

ومر ابن بطوطة بانطاكية في ذلك القرن سنة ٧٢٥ هـ فقال عنها : مدينة عظيمة أصلية وكان عليها سور محكم لا نظير له في أسوار بلاد الشام فلما فتحها الملك الظاهر هدم سورها ، وانطاكية كثيرة العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة الأشجار والمياه ومخارجها نهر العاصي وبها قبر حبيب النجار وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر اه .

ومما ذكره الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية المطبوع سنة ١٩٣١ ان عدد سكان انطاكية في يومنا هذا ٣٥٠٠٠ اكثرهم من المسلمين السنيين الترك والنصيرية العرب وأقلهم من المسيحيين العرب المنتسبين لطوائف مختلفة وفيها كثير من الفنادق الجميلة والمقاهي والنوادي والمصارف والمدارس والجوامع (اكبرها الجامع الكبير وجامع حبيب

جبال ونصف قلعتها في منحدرات تلك الجبال ونصفها الثاني في سفوحها وقرب نهر العاصي . ومحيط هذا السور اثنا عشر ميلاً . وفي الحق انني لم أر حتى الآن أسواراً وأبراجاً عالية مثلما رأيت في انطاكية . وربما بلغ علو السور

التجار) والكنائس ومتحف أثري في دار الحكومة وانها اكثر ما تصدر الصابون ثم فيالج الحرير والسمك والصوف والحبوب وزيت الزيتون والقطن والقطران وزيت الغار والجلود والفواكه الطيبة وغيرها . وفيها صناعات غزل الحرير وعمل الصابون والدباغة ونسج الاقمشة الحريرية والقطنية والطنافس وتجارة الامشاط وتجارة الاثاث المعمولة من خشب الجوز وتجارة النقود والعاديات وان جسامة انطاكية في يومنا لاتزيد عن عشر ما كانت عليه في العصور الغابرة وان من اكبر أسباب انحطاطها بعد الزلازل الهائلة التي انتابتها مراراً هو تخريب الملك الظاهر ميناء السويدية . وقد كانت انطاكية بفضل هذه الميناء مركزاً تجارياً عظيماً بين ممالك البحر المتوسط والاقطار الشرقية اه . ومما قاله موغمارشة في وصف انطاكية : يمكن للسائح ان يتملى برؤية هذه البلدة الجميلة اذا وقف فوق التل المتخذ مقبرة للمسلمين وهو في شمالي البلدة على يمين العاصي وقد كان عليه فيما مضى حصن بناه كودفروا فمنه يرى دور انطاكية المبنية على الطراز التركي وقد علتها اسطحة مائلة مغطاة بالقرميد ويرى العاصي وقد عرض وضخم اكثر مما كان في حماة وعليه هنا ايضاً نواعير تدور بنغمات لا تخلو من اللطافة وتحيط بانطاكية كلها رياض تزيدها نضرة وحبوراً . قد نورت انطاكية حديثاً بالكهرباء وسيأتون اليها بمياه الشرب من شلالات دفنة الشهيرة كما كانت في العصور الغابرة اه .

ومما قاله الشيخ كامل الغزي مؤلف نهر الذهب في تاريخ حلب عن اهل انطاكية : الجمال غالب في نسائهم وقد اشتدت في وجهائهم واعيانهم محبة الجاه والتقرب الى الحكومة يزاحمون بعضهم في ذلك ليتمكنوا من اخضاع مزارعيهم ويصونوا حقوقهم وغلاتهم منه ومن غيره من ارباب الصولة في البر . ويعد من مساوئ انطاكية كثرة الامطار والرعود والصواعق والزلازل وفي الصيف انحباس النسيم عنها في بعض الليالي وكثرة الرطوبة وقال مما انفردت به انطاكية من الفواكه المشمش العجمي المعروف

الراكب على الجبال في الجهة الشرقية نحو ثمانين ذراعاً · اما السور القريب من نهر العاصي فواطئ ولا يعلو اكثر من عشرين ذراعاً كما انه غير ضخم واذا دخلت من بابي حلب ودمشق وصعدت ترى أمامك ابراجاً وباشورات

بشكرباره والدراقن والسفرجل والبني دنيا وقصب السكر والبرتقال والليمون وانواع البطيخ الاصفر والعنب والرمان وحب الآس والعناب وانفردت ايضاً بلبن الجاموس وما يعمل منه كالزبدة والجبن فهما مما لانظير له في غيرها وانفردت بتبغها وفليفلتها الحمراء وصابونها الجيد اه · قلت واللغتان التركية والعربية شائعتان على السواء في انطاكية يتكلم الاولى المسلمون السنيون والثانية النصيرية والمسيحيون على ان كلا الطرفين يفقه لغة الآخر والترك والمسيحيون في رغد من العيش والرفه العصريين ومنهم كثير من المتعلمين · هذا وفي الجنوب الغربي من انطاكية على مقربة منها قرية تدعى الحربية فيها شلالات دفنة الشهيرة تنحدر من عل نحو واد سحيق وتدير عدة طواحين تدعى طواحين بيت الماء ولها خرير ودغو زائدين بين اشجار الدلب والدفلى والاعشاب الخضراء مما يبهج السمع والبصر عدا عما هنالك من المناظر الرائعة والحدائق الغناء والآثار القديمة الباقية من عهد الرومانيين الذين اتخذوا هذا المكان محلاً للقصف والنزهة · وثمة شرقي دفنة وفي الهضاب الوعرة المطلة على صوفيلر احدى قرى كورة القصير التي سيأتي ذكرها شعاب تصل الى حصن القصير كان من معاقل الصليبيين المخصصة لحراسة انطاكية من الجنوب وهو مبني فوق رابية منفردة تحيط به وهاد سحيقة وخندق ولا يزال بعض ابراجه وأسواره قائماً مر به ابن بطوطة واستحسنه وذكر اسم اميره وقاضيه · وفي غربي انطاكية على ساحل البحر بالقرب من مصب العاصي السويدية وهي قرية جميلة كبيرة اهلها نصيرية وروم وعلى مقربة منها خرائب سلوقية يزورها السواح لامتاع النظر في اطلالها العجيبة وقنواتها الفخمة الممتدة تحت الارض وقد كانت سلوقية فيما مضى فرضة انطاكية ومن اعظم موانئ الساحل الشامي وظلت في زهوها الى ان ردم الملك الظاهر بيبرس ميناءها بعد استخلاص انطاكية من ايدي الصليبيين حذراً من ان يعودوا فأفل نجمها من ذلك الحين ·

يعلو بعضها فوق بعض · اما الاحجار التي بنيت منها هذه القلعة فهي جد ضخمة وقد ركبت والصقت بمهارة كايسة · وعلو باب حلب المتجه الى الشمال نحو عشرين ذراعاً (١) وكان ينبجس من الصخور التي في داخله مياه فوارة · وفي غربي هذا الباب جسر عظيم يعبر منه فوق العاصي · ولوفرة علو الجبال المحيطة بانطاكية وارتفاع الاسوار الراكبة عليها لا تنتشر الشمس على هذه البلدة الا بعد ساعتين من طلوعها ·

وفي انطاكية ثمانية قصور عظيمة اهمها قصر كتفاج باشا فيه كثير من الابهاء والغرف المديدة المزخرفة وبابه من الحديد · واكثر دور انطاكية المخمة واقعة على العاصي · وفيها من الاولياء حبيب النجار الذين يزعمون انه كان من حواريي السيد المسيح وبعد قتله حفظ رأسه في تكية يزورها ويتبرك بها المسلمون والنصارى على السواء · وفي انطاكية مدارس للعلوم الشرعية وكتاتيب للصبيان · وفيها تكية لحبيب النجار يهبط اليها بدرج ملئت بالدراويش وأخرى في اعلى الجبل في مكان عال مشرف يوصل اليه في خلال ساعة · وفيها حمامات تأتي مياهها من العاصي بالنواعير وفيها خانات وأسواق وحوانيت عديدة · ومياه هذه البلدة غزيرة تنحدر من الجبال العالية المحيطة بها لذلك ترى سبلها وينابيعها كثيرة كما ان الفاكهة تجود وتغزر

(١) هدم هذا الباب في الزلزلة التي حدثت عام ١٢٩٠ ﻫ اما الاسوار والابراج التي ذكرها اوليا چلبي فقد كانت باقية في الجملة على النحو الذي وصفها به الى ان جاء ابراهيم باشا المصري وافتتح انطاكية فنقض احجار الاسوار والابراج وبنى بها عام ١٢٤٧ ثكنة عظيمة لجيشه فلم يبق منها الآن الا آثار ضئيلة ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أصنافها في البساتين التي تروى من النواعير الراكبة على نهر العاصي . هذا وبعد ان انتهينا من زيارة انطاكية عزمنا على السفر في صبيحة اليوم الاول من شوال سنة ١٠٥٨ وبعد ان أدينا صلاة العيد في جامع السوق ضرب نفير الرحيل في قافلتنا فغادرنا انطاكية متجهين نحو القبلة وبعد ان اجتزنا كثيراً من القرى العامرة نزلنا بعد ثماني ساعات في قرية الزنبقية على شاطئ العاصي (١)

(١) يظهر ان قافلة الجلبي اختارت الطريق الصاعدة في عقبات القصير بضم القاف وشعابه وطوله ثلاثون كيلومتراً لم يتم تعبيدها بعد وفيها قرى عامرة كما قال وهذا الطريق ممر القوافل منذ القديم فقد سلكها الرحالة ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ حينما مر بحصن القصير ثم بحصن الشغر بكاس . والقصير كورة جبلية خضراء يحدها من الشمال والشرق وادي العاصي ومن الغرب البحر ومن الجنوب ينابيع نهر الكبير الشمالي وهي تشمل الآن ناحية الحربية والنواحي الثلاث القصير الفوقاني والوسطاني والتحتاني وناحية الاردو وكسب . وهذه النواحي الست تتبع قضاء انطاكية وثمة ناحية در كوش تتبع جسر الشغر وفيها سلسلتان من الجبال ممتدتان من الشمال الى الجنوب تتصل بها فروع واعضاد كثيرة تجعل هذه الكورة ذات حزون ونجود متموجة يتراوح علوها من ٧٠٠ الى ١٠٠٠ متر في الاكثر وفيها نهران يصبان في العاصي الاول نهر الابيض يخرج من هضاب الاردو مياهه عذبة والثاني نهر البواردة يخرج من قرب قلعة القصير ويصب في الشمال جنوبي جسر الحديد . وهي في الغرب في جهات الاردو وكسب مزدانة بمختلف الحراج الجميلة أخص اشجارها الصنوبر الحلبي واللبنة والبلوط اما في الشرق فهي خالية من ذلك ولكن اوديتها ومنحدراتها مغروسة بمختلف الاشجار المثمرة لاسيما الزيتون يأتي بعده التوت واللوز والتين والمشمش وفي منخفضاتها الرطبة الحور والدلب والصفصاف والدفلي . وهذه الكورة كثيرة الغلال وافرة الخيرات تتوالى على سكانها المواسم واجل موسم فيها الزيتون ويصدر زيته الجيد الى انطاكية وصنع الصابون ثم يأتي بعده الحرير والبطيخ والتين والعنب والجبن والسمن والحنطة القصيرية مشهورة في هذه الربوع ومفضلة على غيرها وطيور الصيد ودوابه

وهذه القرية واقعة في واد خصب له كروم وحدائق ذات بهجة وفيها نحو ثلاثمائة بيت . وقد اشتهرت بجودة تينها وجمال زنبقها . وهنا أقام علي باشا

كثيرة . ويبلغ سكان هذه الكورة في النواحي التي عددناها زهاء ٤٥٠٠٠ معظمهم من التركمان السنيين ويأتي بعدهم العرب السنيون ثم النصيرية وثمة قرى للأرمن واخرى للروم وواحدة للاسماعيلية تدعى جندالية وتاريخ هذه الكورة مرتبط بتاريخ انطاكية وقد كانت تمر منها الجيوش الزاحفة نحو هذه العاصمة من اللاذقية او من جسر الشغر وفيها من الحصون المنيعة التي كانت تخفر انطاكية من جنوبها القصير ودركوش والشغر وبكاس وكفردبين . وفيها الآن من امهات القرى (قرية الشيخ) وهو الشيخ اسماعيل القصيري كان معدوداً من الاولياء وضريحه لايزال مقصوداً بالزيارة ولاحفاده في هذه الديار حرمة زائدة وقد اتخذت هذه القرية قاعدة لناحية قصير الفوقاني وفي غربيها نجود هي اعلى ما في هذا الجبل لها منظر جميل وهواء نقي تشرف على وادي العاصي والجبل الاحمر وسهل العمق والجبال المحيطة به وقرية (بابطرون) قاعدة ناحية القصير الوسطاني و (قارصو) قاعدة ناحية القصير التحتاني وهناك قرية (الاردو) وهي قصبة الناحية واهلها تركمان ثم (كسب) واهلها أرمن وفيها دير كبير للرهبان الفرنسيين ومنها يمكن الصعود الى جبل الاقرع الشامخ . وفي الشرق من الامهات قرية (دركوش) قاعدة هذه الناحية اهلها عرب سنيون عددهم (٢٥٠٠) مبنية على يسار العاصي في اضيق مكان من واديه يعلوها من الغرب جبل شامخ وعلى العاصي نواعير كما في حماة . عدّ شيخ الربوة دركوش من الثغور الساحلية الجبلية وقال عنها ياقوت : دركوش حصن قرب انطاكية من اعمال العواصم اه . وقد زالت آثار هذا الحصن المنيع الذي عجز هولاكو عن فتحه وينتج في دركوش فواكه جيدة كالتفاح والرمان ترسل الى حلب . وهناك (القنية) قرية جميلة اهلها كاثوليك فيها دير للرهبان الفرنسيسيين وماؤها قليل وبقربها (كفردبين) على رابية وكان لها حصن ذكره ياقوت يمر من تحته الدرب الذاهب الى (حمة الشيخ عيسى) وهي ذات مياه معدنية حديدية حارة تنفع للاستشفاء من داء المفاصل يقصدها الناس من كل الجهات ولو شيدت فيها ابنية صالحة للاستحمام والمبيت لزاد الاقبال عليها . ومن الامهات (قارياز) اهلها تركمان

الجانبولاد لمرتضى باشا وليمة عظيمة لم يسمع بمثلها · فقد اكل كل الجند الذي بمعية علي باشا وعده كان ينوف على الستة آلاف واكل خلق عظيم لايسعه الحصر ممن حضر من الجوار ومع ذلك فقد بقيت الصحون والقدور

وعلوها ٨٠٠ متر وتعدا كبرواغى قرى القصير اشتهرت بعنبها الفاخر ولوزها · و(جنيدو) واهلها روم يقام فيهـا في فصل الصيف سوق عام كل يوم خميس وفي غربيها طريق تأخذ الى قلعة القصير الأثرية التى ذكرناها في بحث انطاكية · و (صورية) وهي كبيرة وأهلها روم فيها مدرسة وكنيسة ومعاصر زيتون ·

والسائر في الطريق الذي سلكته قافلة الجلبي بعد ان يغادر انطاكية يتسلق عقبات جبل القصير وشعابه وهضابه فيمر بقرى ناربجه وقبايبنار ثم يجتاز وادي نهر البواردة ثم بقرية الفاتكية التي اشتهرت بكثرة أشجارها وفاكهتهـا ثم بصورية وقليزان ومزرعة وفلنجار وكفر عابد وسفرية وقاربنار والهيتة التي تنتهي فيهـا حدود لواء الاسكندرونة وبالقنية حتى يصل الى جسر الشغر · ولعل قافلة الجلبي انحرفت من قارياز الى الزنبقية وهي الآن ضيعة صغيرة قرب در كوش فيها أطلال خان قديم ثم تابعت سيرها نحو الجنوب مارة بدر كوش وبالقنية الى ان وصلت الى جسر الشغر · هذا والمجتاز هضاب هذه الطريق لابد ان يلمح من أعاليها في الأفق الممتد شرقي العاصي آكام جبل الأعلى الغربية الخضراء وجلها مزدان بأشجار الزيتون تختفي في أوديتها بلدان صغيرة جميلة عامرة كحارم وسلقين وكفر تخاريم وأرمناز وقرى اسقاط والعلاني وتل عمار والدويلي وهذه فيها حصن خراب وفي جنوبها الجبل الوسطاني الحائل بين سهل الروج ووادي العاصي ويناوحه من الشرق جبل بني عليم الذي صار يسمى الآن جبل الزاوية نسبة لزاوية في قرية منه تدعى أم دعيان ويسمى القسم الشمالي منه جبل الاربعين لمقام فيه يعرف بمقام الاربعين اختص بالاشجار المثمرة التي تنبت عذباً كالكرز والكمثرى والتفاح والتين والجوز والعنب وهو صحيح الهواء طيب الماء ذو مناظر جميلة تشرف على سهول حلب الغربية الشاسعة وما فيها من البلدان والقرى كأريحا وادلب ومعرة مصرين وسرمين وغيرها · وفي جبل الزاوية كله قبور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملآنة بالأطعمة النفيسة · وأهدى علي باشا الى مرتضى باشا ثلاث أفراس من عتاق الخيل فقابله مرتضى باشا بفرو من السمور المرصع (١) . ثم استأنفنا المسير الى الجنوب الى ان وصلنا الى جسر الشغر وهو مكان موحش على شاطىء العاصي وتحيط به مروج خضراء وفيه خان صغير · على ان الأمن هنا مفقود نرجو الله ان يوفق اهل الخير لعمران هذا المكان وتوطيد الامن فيه

كثيرة منقورة في الصخور وخرائب أثرية أهمها في قرى أم رعيان والمغارة والحاس وادرم الجوز و كفرلاتا والبارة · والبارة هذه تشبه خرائب بومبي في ايطاليا لا تزال قصورها ومعابدها وشوارعها كما كانت تمتد في مساحة واسعة تدل على ما كانت عليه هذه المدينة من العظمة · هذا وبين جبل الزاوية والجبل الوسطاني سهل الروج المشتهر بخصبه و كثرة مناقعه ورداءة هوائه (مساحته ٢٠٠٠٠٩ هكتار منها ٩٠٠٠ مستنقعات) وبما كان في كورته لصليبي انطاكية من المعاقل المخصصة لحراسة انطاكية من الجنوب · قال عنه ياقوت : الروج كورة من كور حلب المشهورة في غربيها بينها وبين المعرة ولها ذكر في الأخبار ·

(١) من هو هذا الباشا الكبير الذي استطاع ان يقوم بتلك الوليمة العظيمة · لم يذكر الجلبي وظيفته ولا من أين أتى وما سبب مجيئه لمقابلة مرتضى باشا إذ لا بد ان يكون غير علي باشا الجانبولاد الشهير الذي حكم حلب في سنة ١٠١٤ ثم خرج عن طاعة الدولة العثمانية وحارب جيوشها مدة مديدة الى ان قتل في سنة ١٠٢٠ أي قبل مرور قافلة الجلبي بثماني وثلاثين سنة على ما رواه المحبي في خلاصة الأثر · ولما حسبته انه والي حلب جاء يحتفي بزميله مرتضى باشا وجدت (سالنامة ولاية حلب) تذكر في قائمة اسماء ولاتها احمد باشا الدباغ في سنة ١٠٥٧ ومصطفى باشا الموستاري في سنة ١٠٦ والجلبي لم يذكر احداً منهما · فهل كان مخطئاً في بيان الاسم ؟ ·

ليسهل مرور الحجاج منه (١) .

«للبحث صلة» وصفي زكريا

(١) يظهر ان رجاء الجلبي استجيب فوراً • لان محمد باشا الكوبرلي الشهير الذي كان نائباً في طرابلس الشام قبل ان يصبح صدراً اعظم مر من هنا بعد مدة وجيزة من مرور الجلبي فرم الجسر الكبير المعقود فوق العاصي وقيل انه هو ايضاً بنى الجامع الكبير وخاناً وحماماً فعمرت بلدة الجسر على يد هذا الوزير بعد دثورها لانه كان في مكانها في العصور الغابرة على ما قاله الافرنج بليدة اسمها Niaccuba او Séleucie ad Bellum ومن الغريب ان جغرافيي العرب لم يذكروا عنها شيئاً • واكتفى ابوالفداء بذكر السوق العام الذي كان يقام قرب جسرها وقد دعاه جسر كشفهان • ومهما يكن فلهذا الجسر مكانة لاتنكر من الناحية الحربية والاقتصادية فقد كان يمر منه الرصيف الروماني القديم الذاهب من اللاذقية الى حلب الذي لاتزال آثاره ظاهرة في مواقع يسمى اسفكون قرب خان الزعرور • وليس جسر الشغر مستقيماً بل في وسطه كوع جعل لمقاومة دفع العاصي كما ان ظهره أفقي ليس فيه الاحديداب الذي يرى في معظم جسور البلاد الشامية وطول هذا الجسر اربعمائة متر معقود على اربع عشرة قنطرة تدل حجارتها على انه رم مراراً وفي منتصفه وعلى جانبه حجرة زبرت عليها كتابة عربية فيها اسم جقمق ولعله الملك الظاهر جقمق الذي حكم مصر والشام في سني ٨٤٢ — ٨٥٧ • وفي بلدة جسر الشغر الآن من السكان سبعة آلاف اكثرهم مسلمون وفيها دار للحكومة جديدة ومساجد ومدارس ودور للاهلين مبنية بالحجر الابيض حسنة في الجملة ويمر منها طريق السيارات الذاهب من اللاذقية الى حلب لكن هواءها رديء لقرب مستنقعات الروج والغاب منها • وفي اواخر القرن الماضي جعلت مركزاً لقضاء يشمل قسماً من سهل الغاب وجبال النصيرية. وتتبعه ناحيتا الجسر ودركوش • ومعظم سكان هذا القضاء من العرب السنيين والنصيرية وقليل من التركمان القاطنين في مرتفعات جبل القصير ومن الروم في قريتي القنية واليعقوبية وتكثر اشجار الزيتون في بقعة التركمان والاشجار المثمرة والكرمة في قرى بداما والجسر ودركوش والقنية وزراعة الارز والقطن في سهول قسطون وماجاورها • وفيه من المحاصيل

بزر الخردل وجزور المحمودة المعروفة في الطب باسم سقمونيا . واشتهرت فيه قرية اشتبرق بحدائقها وينابيعها ومتنزهاتها وانكزبك بجودة هوائها وصلاحها للاصطياف وزعينة بحراجها ومياهها ومصائدها وقسطون بخصب تربتها وبليس ومشمشان وعين عيسى وبشلمون بذكرياتها التاريخية . وكان لبلدة الجسر على بعد ساعة في شماليها قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بكاس على رأس جبلين بينهما واد كالخندق كل واحدة تناوح الاخرى وفوق الوادي جسر كان يعبر من فوقه من احداهما الى الأخرى . مر ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ بحصن الشغر وبكاس وقال انه منيع في رأس شاهق وذكر اسم اميره وقاضيه ونوه بفضل الأول وان الثاني من اصحاب ابن تيمية . وقال ابو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ : الشغر وبكاس من جند قنسرين قلعتان حصينتان بينهما رمية سهم على جبل مستطيل وتحتها نهر يجري ولها بساتين وفواكه كثيرة ولها مسجد جامع ومنبر ورستاق وهما بين انطاكية وفامية على قريب منتصف الطريق بينهما وفي شرقيها على شوط فرس جسر كشفهان وهو جسر على النهر وهو مشهور وله سوق يجتمع الناس فيه في كل اسبوع والشغر وبكاس في جهة الشرق والشمال عن صهيون وفي الجنوب عن انطاكية وبينهما الجبال اه .

فيستدل من هذا الوصف ان كشفهان ربما كانت هي بلدة جسر الشغر الحالية . وكانت الشغر وبكاس وما حولها من الحصون من معاقل الصليبيين المخصصة لحراسة انطاكية ومركز اتصال قواتهم بقوات قمص طرابلس وملك القدس ومن هنا كانوا يغيرون على المسلمين في شيزر وحماة عن طريق افامية وعلى حلب عن طريق سهل ادلب . وظل هذا الحال الى ان جاء الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب سنة ٥٨٤ فافتتح انطرطوس وجبلة وصهيون والشغر وبكاس وحصن برزية ودربساك وبغراس فاصبحت انطاكية بعد فقدان هذه المعاقل كما قال في الروضتين «معدومة الاطراف قد قطعت ايديها وارجلها من خلاف» . ولم يبق الآن من آثار هاتين القلعتين الا اسس الجدران واحجارها المتهدمة وعلى بعضها كتابات عربية . وعلى مقربة من القلعتين قرية تدعى الشغر القديم تحيط بها المزارع والحدائق .

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٢ —

حدثني ابو يعلى محمد بن يعقوب البريدي الكاتب قال لماقصدت سيف الدولة اكرمني وانس بي وأنعم عليّ وكنت أحضر ليلاً في جملة من يحضر قال فقال لي ليلة من الليالي كان قبل ابيك أبرك الأشياء عليّ. فقلت كيف ذاك اطال الله بقاء مولانا ؟ قال : لما رجعنا من بغداد اقتصر بي اخي ناصر الدولة على نصيبين فكنت مقيماً فيها ولم يكن ارتفاعها يكفيني فكنت أدافع الأوقات وأصبر على مضض من الاضاقة مدة ثم بلغتني اخبار الشام وخلوّها الا من (يانس المؤنسي) وكون ابن طغج بمصر بعيداً منها ورضاه بأن يجعل (يانس) عليها ويحمل اليه الشيء اليسير منها. ففكرت في جمع جيش وقصدها وأخذها وطرد (يانس) ومدافعة (ابن طغج) ان سار اليّ بجهدي فان قدرت على ذلك والا كنت قدتعجلت من اموالها ماتزول به إضاقتي مدة ووجدت جمع الجيش لايمكن الابالمال وليس لي مال. فقلت اقصداخي واسأله ان يعاونني بألف رجل من جيشه يزيح هو علتهم ويعطيني شيئاً من

من المال واخرج بهم فيكون عملي زائداً في عمله وعزه · قال و كانت تأخذني حمى ربع · فرحلت الى الموصل على ما بي ودخلت الى اخي وسلمت عليه فقال ما اقدمك ؟ فقلت امر اذكره بعدُ · فرحّب وافترقنا فراسلته في هذا المعنى وشرحته له فأظهر من المنع القبيح والرد الشديد غيرقليل · ثم شافهته فكان اشد امتناعاً وطرحت عليه جميع من كان يتجاسر على خطابه في مثل هـذا فيردهم ·قال و كان لجوجاً اذا منع من الاول شيئاً يلتمس منه اقام على المنع · قال ولم يبق في نفسي من يجوز ان اطرحه عليه واقدّر انه يجيبه الا امرأته الكردية والدة ابي تغلب قال فقصدتها وخاطبتها في حاجتي وسألتها مسألته فقالت انت تعلم خلقه وقد ردك وان سألته عقيب ذلك ردني ايضاً فاخرق جاهي عنده ولم يقض الحاجة ولكن اقم اياماً حتى اظفر منه في خلال ذلك بنشاط او سبب اجعله طريقاً للكلام والمشورة عليه والمسألة له ·قال فعلمت صحة قولها · فأقمت قال فاني جالس بحضرته يوماً اذ جاءه برّاج بكتاب طائر عرّفه سقوطه من بغداد فلما قرأه اسودّ وجهه واسترجع واظهر قلقاً وغماً وقال انا لله وانا اليه راجعون · ياقوم! المجعرفُ الأحمق الجاهل المبذر السخيف الرأي الرديّ التدبير الفقير القليل الجيش يقتل الحازم المرتفق العاقل الوثيق الرأي الضابط الجيد التدبير الغني الكثير الجيش ·ان هذا لأمر عجيب قال فقلت له يا سيدي ما الخبر فرمى بالكتاب وقال قف عليه فاذا هو كتاب خليفته ببغداد بتاريخ يومين يقول ان في هذه الساعة تناصرت الأخبار وصحت بقتل ابي عبد الله البريدي اخاه ابا يوسف واستيلائه على البصرة ·

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

قال : فلما قرأت ذلك مع ماسمعته من كلامه متُّ جزعاً وفزعاً ولم أشك انه يعتقدني كأني ابو عبدالله البريدي في الأخلاق التي وصفه بها ويعتقد في نفسه انه كأبي يوسف وقد جئته في أمر جيش ومال ولم أشك ان ذلك سيولد له أمراً في القبض عليّ وحبسي فأخذت أداريه وأسكن منه وأطعن على ابي عبد الله البريدي وأزيد في الاستقباح لفعله وتعجيز رأيه الى ان انقطع الكلام . ثم أظهرت له انه قد ظهرت الحمّى التي تجيئني وانه وقتها وقد جاءت فقمت فقال ياغلمان بين يديه . فركبت دابتي وحركت الى معسكري . وقد كنت منذ وردت وعسكري ظاهر البلد . ولم أنزل داراً . قال فحين دخلت الى معسكري وكان بالدير الاعلى لم أنزل وقلت لغلماني ارحلوا الساعة الساعة ولا تضربوا بوقاً واتبعوني ؛ وحركت وحدي . فلحقني نفر من غلماني وكنت أركض على وجهي خوفاً من مبادرة ناصر الدولة اليّ بمكروه . قال فماعقلت حتى وصلت الى بلد في نفر قليل من اهل معسكري وتبعني الباقون فحين وردوا نهضت للرحيل ولم أدعهم ان يُرخوا(١) وخرجنا فلما صرنا على فرسخ من البلد اذا باعلام وجيش لاحقين بنا فلم أشك ان اخي أنفذهم للقبض عليّ فقلت لمن معي تأهبوا للحرب ولا تبدأوا وحثوا السير قال فاذا باعرابي يركض وحده حتى لحق بي وقال أيها الأمير ما هـذا السير الحثّ خادمك (دنحا) قد وافى برسالة الامير ناصر الدولة ويسألك ان تتوقف عليه حتى يلحقك قال فلما ذكر (دنحا) قلت لو كان شراً ما ورد (دنحا) فيه

(١) لعل صوابه : يراحوا

فنزلت وقد كان السير كدّني والحمى قد اخذتني فطرحت نفسي لما بي .
ولحقني (دنحا) واخذ يعاتبني على شدة السير فصدقته عما كان في نفسي فقال
اعلم ان الذي ظننته انقلب وقد تمكنتْ لك في نفسه هيبة بما جرى وبعثني
اليك برسالة يقول لك « انك قد كنت جئتني تلتمس كيت وكيت
فصادفتَ مني ضجراً وأجبتك بالرد ثم علمت ان الصواب معك فكنت منتظراً
أن تعاودني في المسألة فاجيبك فخرجتَ من غير معاودة ولا توديع والآن
ان شئت فأقم بسنجار أو بنصيبين فاني منفذ اليك ماالتمست من المال والرجال
لتسير الى الشام .»

قال فقلت لدنحا تشكره وتجزيه الخير وتقول كذا وكذا . أشياء
واقفته عليها . وتقول : اني خرجت من غير وداع لخبر بلغني في الحال من
طروق الاعراب لعملي فركبت لالحقهم وتركت معاودة المسألة تخفيفاً .
فاذا كان قد رأى هذا فانا ولده وان تمّ لي شيءٌ فهو له وانا مقيم بنصيبين
لأنتظر وعده . قال : وسرت ورجع (دنحا) فما كان الا ايام يسيرة حتى
جاءني (دنحا) ومعه الف رجل قد أُزيحت عللهم وأُعطوا أرزاقهم ونفقاتهم
وعرضت دوابّهم وبغالهم ومعهم خمسون الف دينار وقال هؤلاء الرجال وهذا
المال فاستخر الله وسر . قال فسرت الى حلب وملكتها وكانت وقائعي مع
الإخشيدية بعد ذلك المعروفة . ولم يزل بيني وبينهم الحرب الى ان اسفرت
الحال بيننا على ان أفرجوا لي عن هذه الأعمال وأفرجت لهم عن دمشق
واستغنيت عنه وكل ذلك فسببه قتل عمك لأبيك .

أنشدني ابوعلي الحاتمي فصلاً في رسالة عملها الى بعض الرؤساء في صفته :

أفكاره هِمَمٌ ابعاده نِقَمٌ وعوده قِسَمٌ تأميله عصم
الفاظه حِكَمٌ اوطانه حرم الحاظه نقم (١) آلاؤه دِيَمٌ
تبغي الخلائق ان يحصوا فضائله ودون ذلك ما يستنفد الكلم
ولو أرادوا جميعاً كتم معجزه ابى له الله ما يأتون والكرم
تبغي مجاراته في فعله شبر (٢) قد قصرت عندهم (٣) عن لعبه الفقم
و كيف يسطاع فعل او يرام علا ماليس يدركه الاوهام والفهم

* * *

حدثني بعض الأهوازيين قال رأيت ابا الحسن المنبري الشامي الطائي الشاعر بالأهواز على باب الحسين بن علي المنجم وهو عاملها يتردد مدة وكان قدامتدحه قال فتذاكرنا شدة تلوّن (٤) اخلاق المنجم وجنونه ونواميسه (٥) في وقت وعدوله عن ذلك في آخر ثم قلت له فأين أنت منه فقال ما آيس من رده ولا أطمع في وعده قلت انا : وهذا كأنه مأخوذ من الأبيات التي هجا بها الحسن بن رجا وهي مشهورة فلذلك لم أوردها على جهتها والاخير (٦) من الأبيات وهو :

لكنها خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لابخلاً ولا كرما

* * *

(١) لعله : نعم . (٢) لعله : بشر . (٣) لعل صوابه : عنهم عن كعبه البُهَم .
(٤) بالاصل : تكون . (٥) لعله : تآنسه . (٦) لعله : الا الاخير .

حكي لي عن بعض الصالحين في إخراج السرق قال تأخذ قدحاً فيه ماء وتأخذ خاتماً فتشده فيه بشعرة وتدليه في القدح وتكتب خمس رقاع فيها أسماء المتهمين بالسرقة وتكتب «السارق» في القدح وتضع رقعة تكتب فيها اسم من تتهمه على حرف القدح وتقرأ عليه (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظُلّة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون .) فاذا ضرب الخاتم القدح نظرت في الرقاع (١) فان السارق هو صاحب الاسم وان لم يضرب القدح فتضع أخرى فان السارق هو اذا ضرب . وقال لي في الآبق تكتب فاتحة الكتاب مدورة وتكتب في وسطها : (كظلمات في بحر لجّيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) اللهم اجعل الارض علوها وسفلها وسهلها وجبلها وبرّها وبحرها في قلب فلان بن فلان أضيق من مسك شاة حتى يرجع .

* * *

تذاكرنا في مجلس ببغداد حضره ابو علي بن محمد بن منصور الشاهد المعروف بابن كردي حديث غلبة النساء على الرجال الا النفر من الرجال فقال لي ابو علي كان لنا شيخ فاضل من اهل القطيعة (٢) كان يضرب لنا في هذا مثلاً فيقول : ان في جهاز العروس الى زوجها سرجاً ولجاماً فاذا انقضت ايام العرس: إن سبق الرجل فأسرج المرأة ووضع اللجام في رأسها وركبها ملك

(١) لعله : الرقعة . (٢) القطيعة اسم لعدة أماكن في بغداد .

عليها امرها . وان تراخى لحظة وضعت هي السرج على قفاه واللجام في فيه فركبته فلم تنزل عنه الا بطلاق او موت .

***

حدثني ابوالفضل محمد بن عبيد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي قال حدثني سهل بن نظير اليهودي الجهبذ قال حدثني جدي سهل بن نظير وكان يتجهبذ للوزير على قديم السنين منذ ايام الفتنة والى ان مات قال لما نُكب عبيد الله بن سليمان بعد نكبته (١) للموفق النكبة العظمية كنت اتوسم فيه الرفعة وعلو الحال فكنت احمل الى عياله في كل شهر مائة دينار وهو في الحبس ثم أُطلق فكنت احملها اليه الى ان ولي الوزارة فعرف لي ذلك وبلغ بي كل مبلغ وشكرني عليه اتم شكر قال ثم ان عبيد الله نكب جرادة الكاتب وكان قد جرت له عليه الرياسة وعلى الناس والرؤساء وكان له احسان سالف الي كثير فكنت احمل الى عياله في كل شهر مائة دينار واحدر به الى البصرة قال فبلغ ذلك عبيد الله بن سليمان وانا لااعلم فدخلت اليه يوماً فقال لي ياسهل بارك الله لك في عداوتنا قال فقلت له ايها الوزير من انا حتى أُعاديك وانا اخس كلب ببابك قال واكثرت التنصل والتهيب وبكيت وقلت يا سيدي ما هذا الكلام ان كان شيء رقي الى الوزير ايده الله عني واقفني عليه ولعل عندي فيه حجة او برهاناً على بطلانه قال فقال لي تحمل الى عيال جرادة في كل شهر مائة دينار قال فقلت ايها الوزير انا ما فعلت هذا ولا

(١) لعله : وزارته .

تجاسرت عليه انما فعله الرجل الذي كان يحمل الى عيال الوزير ايده الله مائة دينـار في كل شهر رعاية لحق احسانه اليه فرعى لجرادة احسانًا له اليه ايضاً فحمل اليه مثل ما كان يحمل الى عيال الوزير ايده الله فاحمرّ وجهه خجلاً واطرق وسكت مليّاً ثم تصبب وجهه بالعرق وقلت قبض والله علي ونكبني قال فاسقطت فرفع رأسه وقال احسنت يا سهل ماترى بعد هذا مني منكراً ولا بقي في نفسي عليك شيء فاجرهم على رسمهم ولابوحشك ماخاطبتك به ٠

« البقية تأتي »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء وافكار

—(١)—

الفاظ عربية في اللغة الارمنية

وفقت بعد بحث طويل الى جمع ما يقرب من ١٥٠٠ كلمة من اللغة الارمنية وجدت بينها وبين طائفة من الكلمات العربية مشابهة في لفظها ومعناها وهذا العدد عظيم بالنسبة للغة الارمنية التي لا يتجاوز عدد كلماتها ٢٠٠٠٠ كلمة هو دليل مقنع على ان الشعبين العربي والارمني كانا يقطنان قبل التاريخ بقاعاً واحدة • ويتكلمان لغة ابتدائية واحدة • ودليلنا على صحة هذه النظرية ان البشر في حالتهم الاولى كانوا لا يملكون من اللغة الا الكلمات الضرورية التي تفيدهم في حاجاتهم البسيطة : كالأكل والشرب والفاظ العقيدة وهذه الكلمات التي استعملها العرب والارمن في زمن وحدتهما في الازمنة المتوغلة في القدم بقيت الى الآن مشتركة بينهما بالفاظها ومعانيها •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهاءنذا أقدم نماذج من تلك الكلمات المشتركة ليطلع عليها علماء اللغة العربية وعسى ان أكون اديت بذلك بعض الواجب عليّ في خدمة اللغات السامية •

الارمنية [١]	العربية	معناهما في اللغتين
ح ا ث	حث	الخبز القفار
و ا ر ت	ورد	ورد
ذ ب ا ل	الذب	كثير الحركة
غ ا ر ا س	خرس	ابريق او جرة

(١) قد اثبتنا الكلمات الارمنية بحروف عربية لعدم وجود حروف ارمنية في مطبعتنا ولتسهيل امر المقارنة بين كلمات اللغتين •

الارمنية	العربية	معناهما في اللغتين
ووص د	وصد	نسج
ث آر	دهر	الزمن الطويل (قرن)
ه ام وز	همزه	همس في قلبه وسواساً
ث رز	درز	خاط
ح اد	حد	حد السيف او السكين
ح ر — ح ور	حر	ضد البرد
خ اب	خب	صار خداعاً
ش وق ا	سوق	موضع المبيع والشراء
ش ي ن ع	شنع	قبح المنظر
ص د وق	صدق	ضد الكذب
ص ورد	صرد	سريع التأثر في البرد
ص ور	صور	الميل العوج
ص وم	صوم	الامساك عن الطعام
ط ار	طار	ارتفع في الهواء
ع ارص	عرس	زوجة
وو خ ر	وغر	توقد عليه من الغيظ
خ م ور	خمير	ما يجعل في العجين ليختمر
واد	وضع	ذليل
ع ون ث	عثة	يبيس العشب
ان س	انس	انسان
ع وق	عوق	ضد العجلة
ح ال	حل	فك
وا ه	بهي	حسن
غ وث	غوث	استغاث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ق‌وزوت	قذع	قذر
ق ا ش ى	قشع	الجلد اليابس
ق ي‌ل‌دو	قلد	فتل الشي
ق‌ن‌ن	قنّ	تفقد بالبصر
دغ‌م ا ر	دُغمُري	المخلوط من الاخلاق
ح ا ن‌ث	حنثَ	مال الى الباطل ، جناية
ك‌ززى	كزّ	بخل
ك ي‌س	كيس	كيس الدراهم وغيرها
زوك	زوج	كل واحد معه آخر من جنسه
زور	زور	انحرف
م ا رخ	مرخ	شجر يقتدح به
م ا رد	مرد	متمرد
م‌وروق	مرق	سفا السنبل
م ا ش ي‌ل	مشل	قل لحمه
م ي‌س	ميز	شديد العضل
ن ا غ ى‌ل	نغل	الفاسد
خ‌وط	خُوط	الغصن الناعم لسنته
ه‌وز ا ل	هزل	ضعيف نحيل
ا وه‌ود	أهط	الجمل
ه‌وو	هف	هبوب الريح
ورود	رعد	رعد السماء
ارض	ارض	الارض
ش‌وور	شعار	ما يمس الجسد من اللباس
ا ورى‌ورت	رودة	الشابة الناعمة

أ ٠ أيان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجلس إحياء المعارف النعمانية
« في الهند »

الفنا لجنة علمية دعوناها (مجلس إحياء المعارف النعمانية) بمعاونة لفيف من العلماء والغرض منها طبع المصنفات لمتقدمي الاحناف مثل الامام ابي حنيفة وصاحبيه وحسن بن زياد والطحاوي والخصاف والكرخي والجصاص وغيرهم من الاعلام الذين لم تطبع كتبهم بعد ولم نقصد من وراء ذلك الا نشر الدين وليس القصد التجارة . وقد وفقنا الله الى طبع كتابين (الأول) كتاب العالم والمتعلم للامام ابي حنيفة و (الثاني) شرح الصدر الشهيد على كتاب (نفقات الخصّاف) ونحن اليوم في صدد طبع الجامع الكبير والمبسوط والزيادات خاصةً ولدينا نسخ من هذه الكتب غير ان زيادة التنقيح والتصحيح تقتضي الحصول على نسخ أخرى وقد ظفرنا بنسخة من المبسوط ونسخة من الجامع الكبير ولم نوفق الى الآن الى نسخة من الزيادات ونرجو من اعضاء المجمع العلمي وغيرهم من اهل الفضل ان يرشدونا الى مواطن الكتب التالية :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصنفات الامام ابي يوسف كالأمالي والجوامع ، اختلاف الامصار ، المبسوط ، سند الامام له ونوادره رواية بشر بن الوليد . ومصنفات الامام محمد كالمبسوط ، الجامع الكبير ، الزيادات . زيادات الزيادات . السير الصغير . السير الكبير . كتاب الصلوة . الأمالي اي الكيسانيات . الهارونيات . الجرجانيات . الرقيات . ومسند الامام ابي حنيفة له ونوادره رواية تلاميذه : ابي سليمان — ابن سماعة . ابن رستم . المعلى . هشام . وكتاب الحجة على اهل المدينة له وغير ذلك . ومصنفات الطحاوي كالمختصر له — اختلاف العلماء . احكام القرآن وغيرها . ومصنفات الكرخي : مختصره شرحه للجامع الصغير والكبير وغير ذلك — ومصنفات الخصاف نحو كتاب أدب القضاء له وغير ذلك . ومصنفات الجصاص مثل شرحه على الجامع . وشرحه على مختصري الطحاوي والكرخي واصوله وغير ذلك . وكتاب العلل ويقال له الحجج لعيسى بن ابان . وكتاب الحجج لبشر بن غياث الريس . وغيرهم من الاعلام .

وتهمنا هذه الكتب وامثالها والوقوف على طريقة الحصول عليها وخاصةً كتاب الحجة

على اهل المدينة والمبسوط والجامع الكبير والزيادات . وكتاب الحجة وان كان قد طبع في الهند قبل خمسين عاماً الا ان فيه بياضات واغلاطاً وتقديماً وتأخيراً وتكراراً فان وجدت نسخة صحيحة منه نعمل على طبعها ونشرها .

ابو الوفاء
رئيس اللجنة والمدرس بالمدرسة النظامية
في حيدر اباد الدكن (الهند)
حارة شبلي كنج

(المجمع) نذكر في ما يلي طائفة من المصنفات المذكورة الموجودة في دار الكتب الظاهرية ليطلع عليه الاستاذ ابو الوفاء ونرجو من اهل الفضل ان يكتبوا اليه بعنوانه المذكور بما لديهم من أمر امثال هذه المصنفات :

(١) الجامع الكبير في الفتاوى : تأليف الامام محمد بن حسن الشيباني المتوفى سنة ٨٩ : ه نسخة في ٤٣٢ صفحة كبيرة بنقص من أولها ورقة واحدة كتبت سنة ٧٦٦ بخط معتاد [رقم ١١٢]

(٢) الجامع الصغير : للامام محمد والموجود منه ثلاث نسخ الأولى كاملة في ٤٧٥ صفحة كتبت سنة ٧٦٠ وفي هذه النسخة اوراق كتبت بخط حديث [رقم ١٠٩] .

(٣) النسخة الثانية في ٥٨٠ صفحة كبيرة كتبت بخط فارسي وعليها تعليقات وهوامش [رقم ١١٠] .

(٤) النسخة الثالثة غير كاملة في ٣٣٢ صفحة ناقصة من آخرها كتبت بخط نسخ [رقم ١١١] .

(٥) شرح الجامع الكبير : للامام محمد بن الحسن المتوفى سنة ١٨٩ يوجد منه مجلد واحد يبتدئ من كتاب البيوع وينتهي بباب الايمان كتب بخط تعليق [رقم ١٥٨] .

(٦) شرح الجامع الصغير : للامام محمد ايضاً والشرح لبرهان الدين امام الحرمين في ٤٦٠ صفحة صغيرة بخط سعيد بن محمود الرازي سنة ٥٨٥ [رقم ٣٧٣]

(٧) شرح السير الكبير : للامام محمد ايضاً والشرح لشمس الأئمة ابي بكر محمد بن احمد بن ابي سهل السرخسي المتوفى سنة ٤٩٠ه نسخة في ٧٧٢ صفحة متوسطة القطع نفيسة الخط محلاة بالذهب [رقم ١١٥] .

وهذا الكتاب طبع مؤخراً في مطبعة حيدر آباد الدكن في الهند .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطبوعات حديثة

اتحـاف اعلام النـاس

« بجمال أخبار حاضرة مكناس »

تصنيف مولاي عبد الرحمن بن زيدان طبع في المطبعة الوطنية بربلط الفتح

سنة ١٩٣١ في ٦٠٠ صفحة

(جزؤه الثالث)

هذا الكتاب النفيس وان كان عنوانه (اخبار مكناس) هو في الحقيقة تاريخ مملكة مراكش بمجموعها فالمؤلف يصورها في مختلف عصورها للقارئ كأنه يراها وقد صدر منذ حين الجزآن الأولان منه ثم صدر جزؤه الثالث في هذه الأيام وهو يشتمل على تراجم كثيرين من علماء تلك الديار ويتخللها تراجم بعض ملوك مراكش فان ملوكها يكادون يمتازون على سائر ملوك الاسلام باشتغالهم في العلوم الدينية على طريقة العلماء المعروفة وآخر من اشتهر منهم مولاي عبد الحفيظ ملك مراكش الاسبق . وقد نشر المؤلف في هذا الجزء وثائق تاريخية مما يتعلق بالشؤون المراكشية الداخلية ووثائق أخرى خارجية تتعلق باسبانيا وفرنسا والدانيمارك وهي منشورة بصورها الفوتوغرافية على غاية الضبط والجمال عدا الصور والرسوم التاريخية الأخرى : من ذلك صورة تمثل سفير الدانيمارك وهو داخل على سلطان مراكش مولاي محمد . وصورة تمثل سفير الانكليز كذلك . وصورة كتاب باللغة الافرنسية من ملك فرنسا لويس السادس عشر يبشر السلطان بولادة ابن له وكتاب آخر من نابليون الثالث يعزي سلطان مراكش بوفاة والده . وكتاب من اسرى الاسبانيين المسجونين في احدى قرى السوس . الى غير ذلك من الصور والوثائق التي تصف الحالة السياسية والادارية في بلاد مراكش مما كان له تأثير كبير في ضعفها واستيلاء الأجنبي عليها . وقد الحق

بالكتاب عدة فهارس للتراجم وللاعلام التاريخية والجغرافية ٠ والكتاب حسن الورق والطبع لكن الاغلاط فيه كثيرة كسائر ما يطبع في الاقطار المغربية ومع عناية المطبعة في تصحيح الاغلاط بنشر جدول خاص في آخر الكتاب لحنا اغلاطاً أخرى كثيرة العد فعسى ان ينتبه ارباب المطابع ثمة الى تدارك هذا التقصير فيمطابعهم وقد ذكرنا ان مما نشر في الكتاب صورة كتاب ارسله لويس السادس عشر الى سلطان مراكش يهنؤه بولادة ابن له والكتاب نشر باللغة الافرنسية وهذه ترجمته العربية :

« من عظيم النصارى ملك فرنسا الى عظيم المسلمين ملك مراكش والمغرب سلاماً وبعد فان المولى جل جلاله حقق امنيتنا وامنية فرنسا فرزقنا اميراً وضعته والحمد لله الملكة زوجتنا العزيزة وقرينتنا وقد بادرت باعلامكم بهذا الحادث العظيم الذي يضمن السعادة لرعيتنا ويخلد هذه العائلة الملوكية وانا متحقق انكم ستتلقون هذا النبأ الذي يسر عائلتنا المشهورة ورعيتنا بكل سرور لمابيننا من روابط المودة وان السرور الذي ستقابلون به هذا الحادث سيكون شاهداً جديداً على ماييننا من الصداقة المؤبدة وانا ندعو لكم ولمملكتكم بالنصر والعافية والرفاهية ونطلب من الله ان يحرسكم بعنايته اه » ٠

والكتاب نشرت فتوغرافيته باللغة الافرنسية وقد كتب بخط دقيق جداً وهو لا يتجاوز خمسة الاسطر ولا يكاد يقرأ ٠

هذا وان تاريخ مكناس طرفة من طرف العلم التي اتحفنا بها مولاي عبد الرحمن لا يستغني عنها مؤرخ ولاسيما المتخصصين في تاريخ علاقة الشرق بالغرب في العصور الأخيرة تلك العلاقة التي هي اساس الحالة السوآى التي نحن عليها معشر الشرقيين ٠

« المغربي »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرات الشورى

« في الأحوال الشرقية الحاضرة • وهو يقع في ٢٦٠ صفحة من القطع »
« المتوسط • تأليف الأستاذ محمد علي الطاهر »

صاحب جريدة الشورى الأستاذ محمد علي الطاهر من ذوي العقيدة الراسخة الناصرين لحزبهم السياسي اشد النصر والطاعنين في اعدائه بلا هوادة • وقد اصدر هذا الكتاب اثناء احتجاب « الشورى » وضمه احاديث وحوادث سياسية واجتماعية وادبية في كثير منها فائدة وطلاوة ونكات مستملحة • ولو جوزنا لمجلة المجمع العلمي ان تبحث في الأمور السياسية لقرظنا هذا الكتاب بما يستحقه لأن معظم ابحاثه في السياسة الحاضرة ورجالها •

وربما رأى بعض الناس ان كثيراً من ابحاث الكتاب تصلح للجرائد اليومية ولا تستحق النشر في الكتب اما انا فأرى انهم غير مصيبين فيما ذهبوا اليه لأن بعض الحوادث التي تبدو صغيرة تكون في الحقيقة صورة صادقة لبعض الأوضاع الإجتماعية والأخلاقية والأدبية كالحوادث التي تضمنها (نشوار الحاضرة) للتنوخي وكالنكتة الآتية التي تدل على كثرة الجرائد في بلادنا ووفرة محترفي حرفة الصحافة عن جدارة او عن غير جدارة وقد اوردناها مثالاً لأشباهها مما حواه كتاب « نظرات الشورى » قال المؤلف :

« كان بعض الأصدقاء يسمرون بالقدس وكان الموضوع كثرة الجرائد التي تُرمى على الناس فقال الأستاذ احمد حلمي باشا مدير البنك العربي بالقدس انا مشترك في جريدة كذا وجريدة كذا ومجلة كذا الخ ولكن يصلني اكثر من ثلاثين جريدة ومجلة برغم انفي • فقيل له وكيف ذلك يا باشا ؟ فقال لأن الجرائد الأخرى التي لم اشترك بها قد اشتركت بي ! • »

فهذه النكتة الصغيرة اجمل صورة لموضوع اجتماعي مهم ولا يمكن ان يختلف في جمالها اثنان اما في السياسة فمن البديهي ان الصور التي يصورها الاستاذ المؤلف مستقيمة يراها خصومه في السياسة مقلوبة • والعكس بالعكس • وهذا مالا شأن لنا به في هذه المجلة •

مصطفى الشهابي

http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخزف الشامي العراقي

« في القرن الرابع عشر »

للمسيو سوفاجه : عدد صفحاته ٢٦ وعدد لوحاته المصورة ٤٩ طبع باريز سنة ١٩٣٢

Jean Sauvaget - Poteries Syro - Mésopotamiennes du XIV. Siècle; 26 Pages et 49 Planches. Paris 1932.

بدأ نشاط المعهد الافرنسي الفني بدمشق يتجلى للعيان منذ تولت إدارته يد مخلصة وهو يضم اليوم نخبة من الشبان الافرنسيين العاملين يشتغل كل منهم في نطاق اختصاصه وهم يتحفوننا من حين الى آخر بثمرات جهودهم في الابحاث العلمية والتاريخية المتعلقة بالبلاد السورية . والمسيو سوفاجه هو احد هؤلاء العاملين في خدمة الآثار الاسلامية في بلادنا فقد ضمن كتابه هذا بحثاً عن طائفة من الخزف الاسلامي المطبوع المعروف بالخزف الشامي العراقي وقد صنفها بحسب أنواعها مستعيناً بمجموعة من هذا الخزف عثر عليها في دمشق وهي محفوظة في المعهد الافرنسي المذكور . وقد ادلى بنظرية جديدة بالاعتبار توضح لنا تاريخ تسرب هـذا النوع من الخزف العراقي الى دمشق وبقية المدن الشامية البعيدة عن الحدود العراقية مستنداً الى العوامل التاريخية التي اوجدته ويرى ان هذه الصناعة قد حملها بعض سكان مدن الفرات الشامية الذين التجأوا الى داخلية البلاد فراراً من جموع التتر التي تقدمت من العراق الى بلاد الشام في اوائل القرن الرابع عشر للميلاد .

جعفر الحسني

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

البيت الشامي

« في حوران ووادي بردى وجبل قلمون »

للمسيو ر . تومن — عدد صفحاته ٣٩ وعدد لوحاته المصورة ٣٥ مع خارطته

طبع باريز سنة ١٩٣٢

R. Thoumin - La Maison Syrienne dans la plaine hauranaise, le bassin du Barada et sur les plateaux du Qalamun. 39 pages avec 35 planches et une carte. Paris 1932.

وهذا الكتاب هو الجزء الثاني من مطبوعات المعهد الافرنسي في دمشق ضمنه المؤلف بحثاً عن دور سكان القرى في العهد الحاضر في حوران ووادي بردى وجبل قلمون ووصف تقاسيم هذه الدور ومواد بنائها في كل من هذه المناطق بوضوح يتجلى من الرسوم الجميلة التي زين بها الكتاب . وسيصبح هذا البحث وثيقة للمستقبل عن حالة البناء في هذه المناطق لان هذا النوع من البناء سيندثر قطعاً ليحل محله طرائق جديدة في البناء تجمع بين الطراز الشرقي والطراز الغربي كما هو الحال في معظم قرى لبنان .

وقد ذكر المؤلف في ص : ٢ س : ٢٥ (عمّال الورد) وصوابه (عسال الورد) وذكر ايضاً في اللوحة العاشرة (شكل ٢) مدرسة (السباعية) وصوابه المدرسة (السباهية)؟

جعفر الحسني

اصلاح سهو

ذكرنا في الكلام على طوق الحمامة لابن حزم (م ١٢ ج ٤ ص ٢٢٥) ان المؤلف لم يشر الى اسم الطابع الأول لهذا الكتاب والحقيقة انه اشار اليه وذكر طرفاً من مقدمته وهنا لابد من شكر الطابع على عنايته في نشر هذا السفر ونرجو ان يوفق الى طبع كثير من الكتب النافعة .

الثقالة والثقلاء(1)

ماكان ينبغي أن أثقل عليكم أيها السادة بحديث هؤلاء الثقلاء . الذين ضجّت منهم الارض والسماء . ولا أن أهتم بجمع اخبارهم ولا تعجيبكم من غريب أطوارهم — لولا اني رأيت كبيراً من علماء السلف أفردهم بالذكر في مؤلف خاص سماه (كتاب الثقلاء) . وقد جمع فيه زبدة من آراء مفكري العرب في ما هي الثقالة . ومن هم الثقلاء ؟

فالكتاب صفحة من تاريخ أدبنا القومي الاخلاقي ومؤلفه كغيره من علمائنا الأقدمين الذين اهتموا بجمع أخبار فئات من الناس شاذة في بعض جوانب اخلاقها ومناحي طباعها . فهذا الجاحظ جمع لنا أخبار (البخلاء) كما جمع في كتاب آخر أخبار (اللصوص) . وابن الجوزي صنّف في أخبار (الحمقى والمغفلين) . والخطيب البغدادي وصف لنا في كتاب خاص أحوال (الطفيليين) الذين يغشون الولائم من دون دعوة .

وكل هؤلاء العلماء لم يهتموا بهذه الطبقات من الناس إحياء لذكرهم . أو تمجيداً لقدرهم . وانما كان غرضهم إعطاءنا دروساً في أخلاق السوء التي كانت عليها هذه الفئات المأفونة فنتحاماها . ونطهّر أنفسنا من أدرانها . على حد قول الشاعر :

(عرفت الشر لا للشـ ـر لكن لتوقّيه)
(ومن لم يعرف الخير من الشـ ـر يقع فيـه)

إذ لا يخفى عليكم أيها السادة أن ساحة هذا الوجود تشبه المسرح الذي تمثّل عليه الروايات . قومٌ يمثّلون وقومٌ نظّارة : يشاهدون ثم ينصرفون .

(1) هي المحاضرة التي ألقاها الاستاذ المغربي في ردهة المجمع العلمي مساء يوم الجمعة الواقع في 18 كانون الأول سنة 1931 .

وكذلك آحاد الناس على مسرح هذه الكائنات: يمثّل قوم وينظر آخرون اليهم · حتى اذا انقضى دورهم صعد الى المسرح من يمثّل دوره مكانهم ثم يخلفه غيره وهكذا · ولا يوجد في هذا العالم أحدٌ لم يمثل دوراً تحدث عنه الناس مستحسنين أو مستهجنين ·

والغرض من مشاهدة التمثيل سواء أكان على المسرح (التياترو) الصغير · أو على المسرح العالميّ الكبير انما هو العظة والاعتبار · يرى المرء الحسنة فيرغب فيها · ويرى السيئة فينفر منها : فالموفق هو الذي اذا نظر الى الممثلين اتعظ واعتبر · والمخذول من تمرّ به العبر · فلا يكون له حظ منها سوى النظر · حتى اذا مثّل دوره فجع مثالاً · وأضحى في الحماقة أو الثقالة آيةً ونكالا ·

ومثلُ ذلك يقال في تأليف كتبِ الأدبِ والتاريخ واخبار الناس وماتضمنته الأسفار المقدسة من القصص والمواعظ والأمثال — كل هذا إنما أُريد منه عرض صور الممثلين الماضين على انظار الممثلين الآتين · فيجيد كلٌ منهم تمثيل دوره · ويتجنّبُ خطيئات غيره : فابن الجوزي الذي عرض تحت مواقع أبصارنا ما مثّله الحمقى والمغفلون من الأدوار المضحكة إنما اراد أن يحملنا على الانتباه لأنفسنا فنطهرها من الحماقة في حركاتها وسكناتها · وهو في عمله هذا عاملٌ بآداب القرآن · لأن القرآن أرشدنا الى الاعتبار بأفعال الحمقى · وحذّرنا أن نكون مثلهم · وأن نأتي من الأعمال ما يأتيهم · فقال تعالى : (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثا) اي لا تنقضوا عهودكم وتكونوا كتلك المرأة المتناهية في الحمق (وهي ريطة بنت عمرو من نساء مكة) · كانت تنهمك في غزلها هي وجواريها حتى اذا أحكمت فتله · عمدت اليه فنقضته أنكاثاً · أي خيوطاً غير مفتولة ·

ولا يخفى أن الوحيَ الالهيَّ لم يقصد من ذكر قصة (ريطة) المذكورة إضحاكنا وتسليتنا · وانما قصد إرشادنا وتربيتنا ·

وكذلك شأن أولئك المؤلفين · في ما قصوه علينا من أخبار الحمقى والمغفلين ومثلهم مؤلف (كتاب الثقلاء) الذي جعلناه موضوع محاضرتنا اليوم ·

وقد حلل شارح القاموس كلمتي (الثقالة والثقيل) وأشار الى كتابنا هذا اي كتاب الثقلاء فقال معلقاً على قول القاموس (وثقالـــ الناس وثقلاؤهم من تكره صحبته الناس ويستثقلونه) — ما نصه (وواحد الثقلاء ثقيل يقال أنت ثقيل على جلسائك · وما أنت

الا ثقيل الظل ، بارد النسيم ، ويقال : مجالسة الثقيل تضني الروح ، ومن أبدع ما أنشدنا في الثقيل بعض الشيوخ :

(وثقيل قال صفني قلت أيش فيك أصف)
(كل ما فيك ثقيل حل[1] عني وانصرف)

وقال الراغب : الثقيل في الانسان يستعمل تارةً في الذم وهو أكثر في التعارف ، وتارةً في المدح نحو قول الشاعر :

(تخف الأرض إما زُلتَ عنها وتبقى ما بقيت بها ثقيلا)
(حللت[2] بمستقر العزّ منها فتمنع جانبيها أن يميلا)

وقد ألف في اخبار الثقلاء كتاب اه كلام التاج .

ونحن اليوم نستعمل كلمة الثقيل في الذم واذا أردنا المدح حرفناها وقلنا فلان (طقيل) بالتاء المفخمة كالطاء نريد أنه وقور رزين .

* * *

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في المكتبة الظاهرية طائفة من المجاميع المخطوطة ، تحتوي كلُّ مجموعة منها على عدة رسائل مختلفة في أبحاثها ، متنوعة في موضوعاتها ، وقد كنت يوماً أنقب في هذه المجاميع وأتصفح ما أودعته من الرسائل ، واذا بي أمام رسالة عنوانها (الثقلاء) فأول ما خطر ببالي أن الثقلاء ، هم إخوان الحمق والبخلاء .

فلا جرم أن تكون النتيجة من دراسة أحوالهم واحدة ، وإذ قد طبعت المصنفات عن (الحمقى) وعن (البخلاء) ، وعرفت أطوارهم ، وشاعت بين الناس أخبارهم فلا يحسن أن نبخس إخوانهم (الثقلاء) حقهم ، فلا نعلن أمرهم ، ولا نذيع سِرّهم ، فرأيت من

(١) قوله (حل عني) كذا بالحاء المهملة ولعل صوابه (خل عني) بالمعجمة على أن عامتنا اليوم يقولون — اذا استثقلوا مخاطباً — « حلّ عنا يا » بالحاء المهملة .

(٢) قوله حللت الخ ويروى (لأنك موضع القسطاس منها) واذكر أن هذين البيتين للنابغة قالها في النعمان وقد لاموه على مخاطبته الملك بكلمة (ثقيل) حتى اضطر الى تغيير الشطر .

وفاء الذمم أن أصطنع من مضمون هذا الكتاب أعني (كتاب الثقلاء) محاضرةً : أُلقيها في هذه الردهة . كما كنت منذ سبع سنوات . أُلقيت فيها محاضرةً عن (الحمقى والمغفلين) .

* * *

وكتاب الثقلاء أيها السادة في نحو عشرين صفحة . صغيرة القطع . قديمة الخط . كامدة اللون . قد تكون كُتبت في القرن السابع للهجرة . وهي ضمن مجموعة رسائل محفوظة في دار الكتب الظاهرية تحت رقم (١٨) في قسم المجاميع .

وفي النسخة أغلاط وتحاريف كثيرة . وقد لحقتها رطوبة في أوساط صفحاتها . فتلاصقتْ وانمحت وتقشَّرت . ولما شققتها وباعدتُ بعضها عن بعض فسد كثير من كلماتها في مكان الالتصاق فكان أحياناً يغيب معنى الجملة . ويتبع ذلك إبهام وغموض في أصل القصة التي جاءت فيها تلك الجملة .

والثقلاء وان كان الناس يمقتونهم ويتجنبون ذكرهم بل ذكر أسمائهم أحياناً فان السلف الصالح رضي الله عنهم اهتموا بهم وتثبتوا في نقل أخبارهم الى حد الورع : فهم لم يذكروا لنا تلك الأخبار كيفما اتفق . وانما ذكروها بطريق الرواية والسند . كما اذا كانوا يروون أخبار أنبياء مرسلين . لا ثقلاء ممقوتين . بل الأمر أعظم من ذلك فإن رسالة (الثقلاء) هذه رويت عن مؤلفها بعدة طرق : فقد وجد في أولها وآخرها مايفيد أن (الحسن بن عمار) قرأها على (اسماعيل بن جلدك) القلانسي . وأجازه بها . وأن (علي بن مظفر) قرأها عليه ايضاً مرةً على انفراد . ومرةً مع جماعة . وذلك سنة ٦٤١ للهجرة .

أما (اسماعيلُ بنُ جلدك) فروى الرسالة عن (ابي منصور بن مكارم) المؤدب سنة ٥٨٥ للهجرة . وابنُ مكارم رواها (سنة ٤٨٣ هـ) عن جماعةٍ : فيهم (عليّ السراج) و (الحسينُ النجار) . وهؤلاء رووها عن (هبة الله السمان) . وهبة الله رواها عن (الحسن الآدمي) والحسن الآدمي رواها عن مؤلفها (ابن المرزبان) سنة ٢٨٠ للهجرة .

أرأيتم ياسادتي مبلغ اهتمام سلفنا الصالح بالثقلاء . ومقدار ماتجشموا من الثقلة في جمع أخبارهم ؟ وتمحيص رواياتهم .

ثم أيكون هذا شأن سلفنا الصالح في العناية بهم ونحن نزهد فيهم ونعرض عنهم ولا نسمع بساعة واحدة من وقتنا في استماع رواياتهم . والاستفادة من دراسة ثقالاتهم .

أما مؤلف كتاب (الثقلاء) فهو من علمائنا الثقات الاقدمين . ذكره صاحب كتاب (شذرات الذهب . في اخبار من ذهب) . وشذرات الذهب مخطوط[1] من أنفس مخطوطات (المكتبة الظاهرية) .

قال مؤلفه (وفي سنة ٣٠٩ للهجرة توفي ابو بكر محمد بن خلف بن المرزبان البغدادي الأخباري صاحب التصانيف . روى عن الزبير بن بكار وطبقتــه . وكان صدوقاً . والمرزبان كلمة فارسية معناها (حارس الحدود.) اه : (مر) حد و (زبان) بمعنى حارس او محافظ .

وقد لاحظت في مخطوطة (الثقلاء) اموراً تدل على قدم المخطوطة واتصالها بالأولين من علمائنا .

من ذلك، ان جملة (صلى الله عليه وسلم) التي تذكر عقب اسم سيدنا الرسول لاتكتب في المخطوطة الا مرموزاً اليها بحروف اربعة : الصاد (من صلى) واللام (من الله) واليـاء (من عليه) و(الواو) (من وسلم) هكذا (صليو) لابكلمة صلعم كما نفعل نحن اليوم .

وقد رأيت في (رسائل إخوان الصفا) رمزاً للتصلية بحروف ثلاثة فقط وهي (صلعم) متصلة من دون ميم . اما (صلعم) فيظهر أنها اخترعت في حدود التسعمائة للهجرة : جاء في شرح الفية العراقي في مصطلح الحديث عند قول الناظم : (واجتنب الرمز لها والحذفا)

أي اجتنب الرمز للتصلية النبوية وحذف حرف من حروفها وانما إئت بها في النطق والكتابة كلها . ثم ذكر شارحها الشيخ زكريا الانصاري أن الشيخ (النووي) نقل اجماع من يعتد بهم على سنية الصلاة على النبي نطقاً وكتابة اذن لايكون من السنة أن يرمز اليها بحرف ما .

ثم ذكر الشيخ الانصاري أن الكاتب الذي كان أول من رمز للتصلية بحروف (صلعم) قطعت يده والعياذ بالله تعالى . ولا يخفى أن الشيخ زكريا الانصاري توفي في القرن العاشر للهجرة (٩٢٦) هـ .

* * *

(١) شرعوا في طبعه بمصر وقد طبع منه الى اليوم ست مجلدات .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نرجع من وصف (كتاب الثقلاء) الى وصف (الثقلاء) أنفسهم فنقول :

(الثقالة) لفة من صفات الاجسام ثم أجدّوا لها اصطلاحاً وجعلوها من صفات الارواح . والروح في أصل خلقتها . ومحض جوهرها ألطف شيء في الوجود ولذا يسميها بعضهم (اللطيفة الربانية) . لكن قد يعتري هذه اللطيفة حالة مرضية تجعلها غير لطيفة ولا مرضية بحيث يضيق الانسان الذي يجالسها أو يكالمها أو يشاهدها — كأنما حملت نفسه من ثقالتها جبلاً راسخ الأساس . أو كأنّ أحد الناس ضغط على أكظامه فأخمد منه الأنفاس .

فالثقالة الممقوتة هذه تكون في روح الثقيل لا في جسمه . بل كثيراً ما يكون جسمه شختاً نحيفاً قليل الجرم . ومع هذا تشمئز النفس بثقالته . وعلى العكس يكون الرجل أحياناً بادناً لحماً ضخم الجثة لكن تكون روحه خفيفة الحمل . لطيفة الظل .

وقد لاحظ علماء الأخلاق أن خفاف الروح يكونون في القالب سماناً ضخام الاجسام فما علاقة خفة الروح والدعابة بضخامة الابدان ؟ سرٌ ذلك ما زال مجهولا .

أما الثقالة ولماذا تكون في أرواح بعض الاشخاص دون بعض — فقد ذهبوا في تعليل ذلك (بيسكولوجياً) كل مذهب :

فقال بعضهم : إن الثقالة عدوى واكتساب : فالثقيل يعدي الثقيل . كما أن الأجرب يعدي الأجرب . ولو صح هذا لوجب على الحكومة أن تلقي حجراً صحياً على الثقلاء . وهذا غير مستطاع .

وقال آخر : إن الثقالة ناشئةٌ عن تأثير البيئة والوسط وليس هذا بصواب ايضاً لأن الثقلاء واضدادهم اللطفاء يعيشون في بلدة واحدة وبيئة واحدة . وهواء وماء وطعام واحد ومدرسة وحكومة وعائلة واحدة . ومع هذا يكون أحدهم ثقيلاً . والآخر خفيفاً ظريفاً .

وقال آخرون : إن الثقالة وراثة فهي خُلُقٌ يرثه الثقيل من أبيه أو أحد أجداده كما تورث اللطافة وخفة الروح . وإني اعرف في طرابلس الشام (بل وفي دمشق كما أخبرت ايضاً) — أخوة خمسة كلهم بلغوا سن الشيخوخة وهم من أظرف الناس واخفهم روحاً . واحبهم للنكتة . ويخبرنا المعمرون من أهل طرابلس أن امهم كانت عجوزاً خفيفة الروح حلوة الكلام كثيرة المزاح والدعابة .

وربما كان هـذا القول (أي ان الثقالة وراثة كاللطافة) — قولاً صحيحاً . ولكن الاصح منه في اعتقادي أن الثقالة استعدادٌ خاص . ومزاجٌ خاص . في بعض الاشخاص فيكون هذا الانسان مستعداً لقبول هذا المرض الخلقي الخبيث . بينا ذاك الآخر مزاجه غير قابل له بالخلقة والاستعداد . وهذا كرض السرطان الذي لم يهتدِ الأطباء الى سببه وجُلُّ ما يمكنهم أن يقولوه : إنه ناشئٌ عن مزاجٍ خاص في الانسان لاعلاقة له بالارث .

هذه بسكولوجية (الثقالة) أما بسكولوجية (الاستثقال) اي شعور الانسان بثقالة غيره ومناشئُ هذا الشعور وأسبابه فأمره غامض جداً وذلك لتشعب هـذه الأسباب واختلاف تلك المناشئ ونضرب لكم مثلاً قاله[1] أحد (البيسكولوجيين) .

نرى أحياناً رجلاً فنستثقله ولا ندري السبب في كراهتنا له . فمنا من يستثقل الرجل السمين . ومنا من يستثقل الاشقر أو رجلاً آخر له أنف أقنى كمنقار النسر أو نحو ذلك وقد يعلل بعض هذا النفور في بعض الناس بحادثةٍ حدثت له في الصغر ثم انطبع أثرها في نفسه ولازمه حتى الكبر . مثال ذلك ان طفلاً كان يلعب ففاجأه رجل سمين وخوّفه : إما مزاحاً أو لغرض آخر . فانطبع الخوف في ذهن الطفل من كل رجل سمين وشبّ على كراهة السمان وهكذا يقال في كثير من حالات الاستثقال اهـ .

* * *

وتحمل الثقلاء والصبر على ثقالتهم سُنّة من سنن الدين ومما ينبغي أن يسعه صدر الحليم . ولكن الى حدّ محدود .

اما اذا تجاوزت الثقالة حدها . وزاد بردها . وطفا مدُّها . فحينئذٍ لاالوحيُ الآلهيُّ يأمر بالصبر عليها . ولا الأنبياء عليهم السلام بلائمين اذا انفضوا من حواليها . وشاهدُ ذلك ما جاء في القرآن والسنة وآداب السلف .

قال تعالى خطاباً لمحمد صلى الله عليه وسلم : (ولو كنت فظـاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) . والفظاظة هي الثقالة بعينها : فالله تعالى يقول لو كنتَ يا محمدُ فظّاً ثقيل الروح لكرهك العرب ولتفرقوا من حولك لكنك لست بفظ ولا ثقيل فلم ينفضوا بل التفوا حولك . وسمعوا قولك . وآمنوا بك . وهذا من فضل الله على الناس : إذ خلق لهم محمداً صلى

(١) رأينا هذا في مقال نشره بعض الفضلاء حديثاً .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الله عليه وسلم غير فظ ، ولا ثقيل الروح حتى آمنوا به . ولو خلقه ثقيلاً لما آمنوا بالطبع ولكانت لهم الحجة على الله في إرساله رسولاً ثقيلاً .

فانظروا أيها السادة ما أبشع الثقالة وأسوأ أثرها في الأمم وكيف ان غلاظة نبيٍّ من الأنبياء تصلح عذراً لأمته في أن يكفروا بدينه .

***

وقد افتتح (ابن المرزبان) كتابه (الثقلاء) بقوله : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (لما أهديت زينب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاماً ودعا القوم . فجاؤا فدخلوا فجعلوا يتحدثون وجعل رسول الله يخرج ثم يرجع . وهم قعود فنزلت (فإذا طعمتم فانتشروا الآية) وقد علق الحسن البصري رضي الله عنه على هذه الآية فقال : انظروا كيف أن الله تعالى ذمّ الثقل في القرآن . فقال : (فإذا طعمتم فانتشروا) .

ويظهر من مجموع الآثار الواردة عن السلف أن استثقال الثقيل أدبٌ من آدابهم إذ في ذلك تربيةٌ للثقيل وتنبيهٌ له الى إصلاح نفسه . وتدارك شرّ ثقالته . وقد جرى كثيرون من السلف الصالح على هذا الادب حتى كان ابو هريرة رضي الله عنه إذا ثقل عليه أحدٌ قال : اللهم اغفر له . وأرحنا منه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فأبو هريرة يرى أن ثقالة الثقيل ذنب . ولذا دعا لصاحبها بالمغفرة أولاً . ثم الراحة من ثقالته ثانياً . وقال بعض الفضلاء الثقيل اذا عرف نفسه أنه ثقيل لا يكون ثقيلا . وهذا ما عناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله : (من خاف أن يكون ثقيلاً فهو خفيف . وأما من أمن الثقل فهو ثقيل) وقوله (أمن الثقل) معناه أن يبرر نفسه ويشهد لها بأنها ليست ثقيلة . وهذه الطمأنينة لنفسه تجعله يغفل عن ردعها فتسرح وتمرح في ميادين الثقالة . وهو لاهٍ عنها . غير شاعر بثقالتها . وهــذه هي المصيبة العظمى . فسيدنا عمر رضي الله عنه نبّه الناس وحذّرهم من هذه الخطة الملعونة . وأوصاهم بان يسيئوا الظن بأنفسهم لئلا يتورّطوا في الثقالة من حيث لا يشعرون .

وكما أن الثقيل اذا اعترف بثقالته لا يكون ثقيلاً كذلك اللطيف الخفيف الروح اذا تباهى بلطافته والفخر بخفته لا يكون لطيفاً ولا خفيفاً . وزد على ذلك أنهم صرحوا بأن اللطيف الخفيف الروح اذا استأنس بالثقيل واستلطفه كان ثقيلاً مثله : قال المؤلف (ابن

المرزبان) نقلاً عن بعض الفضلاء : (إن الاستئناس بالثقيل آيةٌ على الثقالة : اذ كل طير انما يطير مع شكله) .

ومن علامات الثقالة الالحاح في طلب الحاجات من الاخوان معها اعتذروا له بعدم إمكان إجابة سؤله . وقديماً ماأوصى الحكماء بترك الالحاح حتى قال حكيم العرب أكثم ابن صيفي (من ألحف في مسألة فقد أبرم وأثقل) .

ومن علامات الثقالة أيضاً أن يتبوأ الزائر من المجالس مكاناً ليس من العادة الجلوس فيه كوسط الحلقة مثلاً . وقد روي أن رجلاً قعد وسط حلقة سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه . ولم يكنه هذا حتى التفت الي حذيفة وقال له : ان فلاناً صديقك مات . فاغتاظ حذيفة . وقال له وانت أحق على الله أن يميتك : سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يلعن الجالس وسط الحلقة .

وما كان السلف يتورعون من ذكر الثقيل بما فيه : فكان حماد ابن زيد اذا رأى (عفان) قال ما أثقلك !!

وقال ابو نعيم سمعت سفيان الثوري يقول لزائدة بن قدامة لو كنت من البغال لكنت من بغال النقل . اي لأن بغال النقل تكون كبيرة ضخمة غير مروضة ولامهذبة بينما بغال الركوب تكون مرهفة الأعضاء لطيفة الجرم وتكون مع هذا مروضةً مطبوعةً على حسن السير .

وعن محمد بن عبد الرحمن قال : قال ابن طاووس (لكلام الثقيل أشد عليّ من الشيطان) وروى مخلد أن اباعاصم كان يقول (اذا ابغضتُ الرجل لثقله أبغضت شقي الذي يليه) اي يبغض جسمه الواقع من جهة ذلك الرجل .

بل غلا ابن السماك في ذلك حتى قال : كم من رجل خفيف الروح اذا نزل به بلاء تمنينا لو نحمل عنه بلاءه بينما آخر من الثقلاء نحب ان يموت ونرتاح منه وأنشد :

(وثقيل أشد من ثقل المو ت ومن شدة العذاب الاليم)
(لو عصت ربّها الجحيم لما كا ن سواه عقوبةً للجحيم)

وروى نصر الصائغ قال كنت عند (أسود بن سالم) فجاءه رجل من احد جانبيه فسلم عليه فلم يرد ابن سالم السلام عليه . وغمض عينيه . فدار الرجل وجاءه من الجانب

الآخر فسلم ، فلم يرد عليه ، فقال له : يابا محمد لمَ لا ترد السلام ؟ فالتفت أبو محمد الى من حوله ، وقال لهم : انظروا الى رجل غمضت عيني لئلا أراه ومع هذا فهو يريد مني أن أرد عليه السلام ، الىهذا الحد كانوا يتبرمون من الثقلاء حتى استجازوا عدم رد السلام عليهم مع أن رد السلام فرض . وكأن ابن سالم لما رأى الثقيل قد سلم دون أن يحافظ على آداب التسليم رأى هو أن يقابله على عمله فلا يرد عليه السلام .

وكان السلف يتفننون في هجو الثقيل ووصفه بأساليب كلامية : فيها حسن صنعة . وفيها شفاء غيظ : قال المؤلف : حدثنا محمد بن قدامة عن ابي أسامة قال سمعت هشام ابن عروة يقول لرجل (لأنت اثقل من الزواقي) فلم يفهم ابن قدامة معنى كلمة (الزواقي) قال : فذهبت الى (الفراء) إمام النحاة فسألته ماالزواقي ؟ فلم يعرفها . فقال بعضجلسائه : إن العرب كانت تسمر بالليل سمراً يلذ لها ويطيب . فاذا سمعت زقاء الزواقي (اي صياح الديوك) شق عليها مجيء الصبح المؤذن بتفرقهم . قال ابن قدامة فأعجب الفراء بذلك .

فالزواقي إذن هي الديوك التي توقو أي تصيح وقت الفجر وتفرق أرباب السمر وتشتت شملهم فهم يستثقلونها اذا سمعوا صوتها .

بل الأعجب من ذلك ماأرواه محمد بن سعد قال : كان في المدينة المنورة رجل له ولدان لم يكن بالمدينة أثقل منهما وكان أبوهما صالحاً طيب النفس . فذكروا يوماً الثقالة في مجلسه فقال : (على رسلكم : امرأته طالق إن كانت الزوراء عند احد ابني الاجاروشة) : و (الزوراء) قصر عظيم جداً بناه عثمان رضي الله عنه في المدينة . فالأب يحلف أن ذلك القصر على ضخامته ماهو الا جاروشة (أي حجر طحن) بالنسبة الى ثقالة ولديه حقاً إن ظرافة هذا الأب تخفف من ثقالة ولديه . وتجعلنا نترحم عليهما وعليه .

وحاصل القول أنالسلف رضيالله عنهم كانوا اذا اشتدت عليهم ثقالة الثقلاء فرجوا كربهم . وفشوا وطبهم . بما يصوغونه من الأساليب البليغة . والنكت المستملحة . ولكن بعضهم كانت تفاجئه ثقالة الثقيل قبل أن يستعد لها فيدهش ويفحم : فقد روى حماد بن زيد قال : حدثني شيخ من اعراب البادية قال : كان عمي رحمه الله إذا رأى ثقيلاً غشيعليه . وهذا الإغماء الذي كان يصيب ذلك الأعرابي عند رؤية الثقلاء يدل على رقة شعور وحساسية نفس اكثر من اللازم . أما ابن عائشة المغني المشهور فقد كان اذا رأى ثقيلاً

اكتفى بقوله : صنجة ميزان . وهي عيارة من النحاس الأصفر كالرطل ونحوه . والأفصح في كلمة (صنجة) ان تلفظ (سنجة) بالسين لا الصاد . وهي معرب (سنكة) بالفارسية .

وابو أسامة كان إذا رأى ثقيلاً مقبلاً لا يغمى عليه بل يكتفي بقوله نخيت السماء .

وروى المؤلف عن والده أنه قال : كان بعض مشايخنا إذا رأى ثقيلاً صاح : (الحجر الحجر) ومراده بالحجر الحجر ان الثقيل في ثقالته يشبه الحجر ويحتمل أن يكون أراد إئتوني بحجر لأرشقه به واطرده عن مجلسي .

اما (وكيع) رضي الله عنه فأمره غريب : ذلك انه اذا جلس اليه احد الثقلاء غمض عينيه وقام كيلا يراه .

ووكيع هذا هو شيخ الامام الشافعي رضي الله عنه . وقد عناه الامام بقوله :

(شكوت الى وكيع سوء حفظي فأرشدني الى ترك المعاصي)

(واخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي)

وهكذا كانوا يتفننون في اساليب الكلام ليدلوا على تبرمهم من الثقيل . وبعضهم كان لا يرى شفاء غيظه منه إلا بأن يعرّفه صراحةً بأنه ثقيل . فقد روى معمر رضي الله عنه قال كنت جالساً في مجلس بصنعاء اليمن مع السماك بن الفضل . فدخل عليه فتى يستثقله فقال لي يامعمر تعال حتى نعد ثقلاء صنعاء . فجعل يعدهم واحداً واحداً ثم عدني أنا منهم ثم عدّ الفتى بعدي . فسكت الفتى ولم يمكنه الاحتجاج .

وروى مجالد ان الشعبي كان يقول (من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء) . وقد يقال إن إبليس هو الذي شغله عن الصلاة فما ذنب الثقيل ؟ ولكن الشيخ الشعبي هكذا رأيه في المسألة . وروي أيضاً عنه أنه كان قاعداً في مجلس فأقبل رجل فلما رآه الشعبي قام منصرفاً وقال ثقيل والله .

والصحابي الجليل (حذيفة بن اليمان) رضي الله عنه كان يذهب في استثقال الثقلاء إلى أبعد من هذا كله : كان يقول (إن الثقيل ليدعوني أحياناً الى طعام فأقول له إني صائم . ولا اكون صائماً) يعني انه كان يترك إجابة الدعوة المسنونة في الإسلام كي لا يجالس الثقيل على طعام .

وعن ابن شبرمة قال سمعت الشعبي يقول : من النـاس من يخفُّ ومنهم من يثقل حتى كأنه رحى ركبت فوق ظهري .

والامام الشعبي هذا من كبـار علماء السلف وقد تكررت الروايات عنه في استثقال الثقلاء . ومثله في ذلك (شعبة) و (شريك) و (الاعمش) فإنهم أيضاً من علماء السلف ورواة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد روى (ابن المرزبان) في كتابه (الثقلاء) الذي نحن بصدده اخباراً كثيرة مروية عن هؤلاء الأئمة الأربعة : الشعبي وشعبة وشريك والأعمش : اربعتهم من علماء السلف . وأول اسمائهم شين . الا الأعمش فشينه في آخره . وهم متماثلون في حب النكتة والميل الى الدعابة البريئة . كما أنهم رضي الله عنهم اتفقوا على استثقال الثقلاء . والتفنن في إظهار النفرة منهم .

وفي كتاب الثقلاء الكثير الطيب من أخبارهم وأقوالهم . وقد سمعتم آنفاً ماقاله (الشعبي) من أن من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء أما (شعبة) فقد روى مزاحم عنه قال : سألت شعبة عن رأيه في أبي بكر الهذلي فقال (دعني لا أقئ) اي إن مجرّد ذكر الهذلي يكاد يضطره الى القيء . فكيف به لو رآه أو جالسه أو سمع كلامه ؟

وأما (شريك) ويسمى (النخعي) أيضاً : فقد روى عبدالرحمن الخوارزمي عنه قال : لقيت شريكاً فقلت حدثني بحديث كذا وكذا . فحدثني . فقلت : حديثاً آخر . فحدثني . فقلت وآخر . فقال لي باللغة الفارسية (أنت ثقيل) . ولو كنت ثقيلاً بالعيان لخف الأمر وهان ولكنك ثقيل على القلب ايضاً) .

والحقُّ أن الخوارزمي لو لم يكن ثقيلاً لما استوقفه في الطريق وكلفه أن يحدّثه المرة بعد المرة . واذا كانت الاحاديث التي كلفه اياها من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم (وهي كذلك في الغالب) كانت ثقالته أشد وانكى . اذ كيف يليق أن نتخذ قارعة الطريق حيث العامة والغوغاء — مدرسةً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلنا إن (شريكا) هو الذي يلقب بالنخعي . فهو عربيٌّ قحٌّ منسوب الى قبيلة النخع إحدى قبائل مذحج العربية اليمنية القحطانية . ولا نعلم كيف تعلم اللغة الفارسية . وكان

رضي الله عنه يقصد من جميع الأقطار لتلقي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تولى قضاء الكوفة في زمن الخليفة المهدي ثم ابنه هرون الرشيد . ومات سنة ١٧٧ للهجرة فلنفرض أنه حذق الفارسية بسبب من الأسباب ولكن ما هو السبب الذي جعله يشتم الثقلاء باللغة الفارسية لا العربية ؟

هل ان شدة تعصبه للغة العربية الشريفة حملته على ان يكرمها ولا يلوثها بسب الثقلاء . ومن سبه للثقلاء بالفارسية ايضاً ما رواه ابن المرزبان قال : حدثنا احمد بن زهير قال حدثنا يحيى بن أيوب قال حدثنا بعضهم أن رجلاً كان يتكلم في مجلس شريك فأكثر من الثرثرة وهراء القول فقال له شريك بالفارسية (گران گران سخت) ومعنى ذلك بالفارسية (ثقيل ثقيل جداً) .

ذكرنا آنفاً أيها السادة أن هؤلاء الأئمة الاربعة (شريك وشعبة والشعبي والاعمش) كانوا أهل ظرف ونكتة وأشهرهم في هذا المعنى الأعمش . فقد روى العباس بن يزيد قال : أهدى رجل الى الاعمش بطيخة . فلما أخذ الاعمش مجلسه في الصباح حضر الرجل فقال له : (يا أبا محمد كيف كانت البطيخة) قال : طيبة ثم عاد الرجل ثاني يوم وسأله عن البطيخة فقال طيبة ثم ثالث يوم كذلك . فصرخ الأعمش ان كففت عني وإلا تقيأتها .

فالتذكير بالاحسان من آيات الثقالة ايضاً اذ هو كالمن المنهي عنه شرعاً . وجاء حجاج ابن أرطاة الى الأعمش فاستأذن عليه فقال : قولوا له ابن أرطاة على الباب . فقال الاعمش . (أبكيّ على بكيّ ؟) ولم يأذن له . واصل العبارة في كتاب الثقلاء هكذا (ابكي عليه ابكي عليه) ولا معنى لها ولعل الصواب ما قلته وأن يكون أصلها (ابكيء على بكيء) و (بكيء) فعيل من البكء بالهمزة وهو قلة لبن الناقة . هذا أصل معناه في اللغة ثم نقله البلغاء الى معنى قلة الكلام عياً وفهاهة فالأعمش بسبب مرضه أصبح بكيئاً اسي ثقيل اللسان عسر النطق . وذاك الزائر (اي الحجاج بن أرطاة) غير فصيح ولا يحسن الكلام فهو فدم عي . وأسي مصاب أن يجتمع عيّان : لا يتفاهمان . ولا يخلصان في حديثهما الى بيان .

وعن اسماعيل بن ابي خالد عن الشعبي أنه قال : (عيادة حمقى القراء أشد على أهل المريض من مرض مريضهم) وذلك أنهم يعودونه في غير وقت عيادة ويطيلون الجلوس .

وكانوا يريدون بالقراء ما نريده اليوم بكلمة (فقهاء) أو (طلبة) وفي مصر (مجاورون) وفي بلاد الترك (صُفته) وعكوف هؤلاء النمط على دراسة علوم الدين تجعلهم كغيرهم من المتخصصين في فنهم : منعزلين عن الناس ذوي عقلية خاصة غير ملمين بطبيعة البيئة التي يعيشون فيها ولا بعادات أهلها ولا يعرفون شيئاً مما يدور في مجالس أنسهم واذا تكلموا فإنما يتكلمون في مسائل فنونهم التي تخصصوا فيها . ولا كل أحد يفهمها أو يهتم بها . فاذا كانوا في مجلس لم يعرفوا كيف يجارون أهله في حديثهم . ولا يشار كونهم في مطارحاتهم . ولا يتفطنون الى نكاتهم . ومن أجل ذلك يستثقلهم الناس ولا يحبون مجالستهم .

على ان الشعبي نسب ثقالة طول الجلوس عند المريض الى حمق القرّاء مع أنها دأب كل ثقيل لا حمق القراء وحدهم . ألم يبلغكم خبر الأعمش مع عُوّاده ؟

مرض الأعمش مرة وعاده جماعة من الثقلاء . فأطالوا الجلوس عنده حتى ملّ وسئم ثم ما كان منه الا أن قام وتناول وسادته وخرج من الباب قائلاً : شفى الله مريضكم .

وعن عليّ بن يحيى أن المأمون قال يوماً لجلسائه : لِمَ صار الثقيل أثقل على القلب من الحمل الثقيل على الجسم ؟ فلم يجب منهم أحد وقالوا : أمير المؤمنين أعلم . فقال : لأن الحمل الثقيل يحمله كل من الروح والبدن . أما الشخص الثقيل فتنفرد بحمله الروح ولا يعاونها الجسم . فترزح المسكينة تحت عبء الثقالة من دون معين الا الله . ولا عجب ان يصدر هذا التعليل من المأمون فهو حكيم خلفاء العرب وارقهم شعوراً وأكثرهم ظرفاً . وقد اتفق له ان تورّط يوماً مع مغنٍّ ثقيل فقال لجلسائه ما تعرفون في الثقيل ؟ فقال بعضهم : يقول الحكماء يا أمير المؤمنين : ان مجالسة الثقيل حمى الربع . فقال لهم المأمون : فكيف اذا كان مغنيًا .

قال المؤلف : وروينا عن ابي الحسن قال : أتى شريك بن عبد الله رجلٌ من أصحاب الحديث أي من طلابه الذين يقصدون المحدثين للتلقي عنهم . وكان هذا الطالب يسمى (أبا سويد) فجاء يسأل شريكاً عن أطراف كانت معه . ويعني طلاب الحديث بالاطراف عبارات من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتصر عليها الراوي ولم يرو بقيتها فالرجل جاء يسأل شريكاً عن أطراف من أحاديث لا عن أحاديث تامة كاملة . وكان ذلك في يوم شديد الحر فأكثر على شريك من الكلام والثرثرة وثقل عليه جداً . وشريك

صابو وفي آخر الأمر صاح شريك : (يا جارية تعالي) فأقبلت ، فقال لها : (أسبلي الستر وأخرجي الذباب وأبا سويد ايضاً .)

وطلاب الحديث عادةً يكونون شديدي الحرص في طلبه ، وتحقيق ألفاظه ، وضبط أسماء رواته ، فاذا ظفروا بمحدث أبرموه بالسؤال وأتعبوه بالإلحاح ، ولذلك كثر تغير المحدثين منهم كما سمعت من خبر شريك مع (أبي سويد) .

وكما روي ايضاً أن يحيى بن سعيد قال مرة لأحد هؤلاء الطلاب لأن تضربني بالسوط أحب اليَّ من أن تسألني عن حديث ، وقال عبيد الله بن عمر : جئت يحيى بن سعيد يوماً فأذن لي وقال من رأيت بالباب قلت فلاناً ، فصكَّ رأسه بيديه وقال ، جبل جبل ، ثم خرجت فرأيت الرجل مازال على الباب ولم أدر إن كان أذن له بالدخول أو لا .

والمحدث أبو أسامة اشترط في المستملي عنه أن لا يكون ثقيلاً : فقد قال سلمة بن شبيب سمعت أبا أسامة يقول إبتوني بمستملٍ خفيف على اللسان خفيف على الفؤاد : إياي والثقلاء ، إياي والثقلاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقوله (إياي والثقلاء) أسلوب فصيح من أساليب كلام العرب ، ومعناه باعدوا بيني وبينهم واحذروا أن تجعلوهم يقتربون مني ، ومثله الحديث الشريف (اذا بلغ المرء الستين فاياه وايا الشوابّ) يعني اذا صار عمره ستين سنة فليحذر أن يتزوج من النساء الشابات وانما له التزوج بمن كانت عجوزاً مثله .

وهنا ملاحظة وهي أن أبا أسامة اشترط في تلميذه أن يكون خفيفاً على اللسان فهو إذن يتشاءم بالثقلاء حتى باسمائهم التي اصبحت ثقيلة بدلالتها عليهم .

وروى ابو الحسن المدائني قال : جاء رجل الى الأعمش فقال له (يا أبا محمد اكتريت حماراً بنصف درهم وأتيتك أسألك عن حديث كذا وكذا ،) فأجابه الأعمش (اكترِ بالنصف الآخر حماراً وارجع حالاً .)

على أني أقول ما كان ينبغي للمحدثين أن يستثقلوا طلاب الحديث فان تفصيله لذة تحملهم على كل هذا الإلحاح والإحراج : وقد قلت في ذلك :

(كلُّ [1] العلوم سئمتها لجديدها بالـــ رثيث)
(الا الحـديث فانه مثل اسمه أبداً حديث)

وأخشى اذا تبرم المعلمون من طلابهم أن يقابلهم طلابهم بالمثل فيستثقلوهم وينشدوهم :

(لا تمنعن العلم طالبه فسواك أبداً عنده خبر)
(كم من رياض لا أنيس بها هجرت لأن طريقها وعر)

قال المؤلف : وأنشد ابو سعيد الاهوازي يصف ثقيلاً بشعر على نسق عجيب فقال :

(لشؤم بخت · وقضم قتّ [2] والف سبتٍ وأربعاء)
(وثقل صخر · وغيم شهر وطول هجر · على جفاء)
(وكسر ضلع · ونتف صدغ بماء صمغ ومومياء [3])
(أهون من أن تراك عيني تمشي اختيالاً على الثراء)

والابيات ظاهرة المعنى سوى قوله : ان الف سبت والف اربعاء هي اخف على القلب من رؤية ذلك الثقيل · فلعل المعنى انهم قديماً كانوا يتعطلون عن العمل يومين في الاسبوع (الثلاثاء) و (الجمعة) فيكونون فيهما في مسرة وهناء · فاذا جاء يوم الاربعاء بعد الثلاثاء استثقلوه أما يوم السبت بعد راحة الجمعة فاسألوا صبيان الكتاب يخبروكم عن مقدار ثقالته ·

قال ودخل رجل على (ابن مصقلة) يعوده فكان من حديثه أن قال له : ياابا عبد الله مات فلان · ثم سكت · ثم عاد · فقال مات فلان · وسكت · ثم ثالثة · فلما اراد ان يخرج قال ياابا عبد الله ألك حاجة · قال نعم : لاتعودني مادمت مريضاً ·

وذكر الزبيدي في شرحه على القاموس ان ابن مصقلة هذا يسمى رقبة وكان من المحدثين روى عن انس بن مالك وروى له الترمذي في صحيحه ·

---

(١) البيتان لابن الرومي واصلها هكذا :

(ولقـد سئمت مآربي فكأن طيّبها خبيث)
(الا الحـديث فانه مثل اسمه ابداً حديث)

قوله الا الحديث أراد به حديث الندماء ·

(٢) القتّ الفصفصة اليابسة وهو التي تسمى في مصر برسيما ·

(٣) كأنه اراد بالمومياء الشمع ·

وعن حماد الراوية قال : اخبرني رجل عن نفسه أنه قال للفرزدق ياابا فراس انشدني من شعرك قصيدة كذا وكذا . فأجابه الفرزدق (ياهذا إن قدرت ان لا تكون ثقيلاً فافعل) وقد أصاب الفرزدق : لأن هذا الثقيل وهو من عامة الناس يكلفه ان ينشده شعره . وهو إنشادٌ تتنافس به الخلفاء . فيحق للفرزدق ان يستثقل ذلك الرجل مذ استنشده على هذه الصورة .

وكما ابتلي الفرزدق بهذا الثقيل ابتلي زميله (الاخطل) بثقيل آخر تورط معه في غوطة دمشق .

ذلك ان الأخطل الشاعر الاموي المشهور كان يسمع بمعبد المغني الكبير ولا يعرفه فاتفق وجودهما في دمشق أعلى باب الخليفة الاموي . فتعارفا وتآلفا وخرجا الى الغوطة ومعها شراب وفاكهة وريحان وجلسا في احد البساتين على نهر جار . وتغريد أطيار وتناشد اشعار . واذا برجل قيل له : ان هذين هما فلان وفلان . فأحب الرجل مجالستهما وكان يسمع بشهرتهما فانسل اليهما . ونزل نزول العمى عليهما فصبرا صبر الكرام . وبعد سكوت عميق التفت الثقيل الى الاخطل وقال له : ياأخطل (أنظر القذى في كأسك) فحينئذ انفرج الكرب عن صدر الاخطل وشفى قلبه من الثقيل بهذين البيتين :

(وليس القذى بالعود يسقط في الإنا ولا بذباب وقعه أيسر الأمر)
(ولكن ثقيلٌ لا تودُّ اقترابه رمتنا به الأقدار من حيث لاندري)

وروى الاصمعي عن ابن ابي طرفة (أن مجالسة الثقيل حُمَّى باطنة) لكن (جبريل الطبيب) الدمشقي كان يقول ــ إننا معشر الاطباء نجد في كتبنا أن مجالسة الثقيل حمى الروح . وقيل للشعبي هل تمرض الروح قال : نعم من ظل الثقلاء . قال فمررت به يوماً فوجدته قاعداً بين ثقيلين . فقلت له كيف الروح الآن ؟ قال في النزع .

ولعل العنصر العربي بطبيعته وأصل غريزته يكره الثقالة وينفر منها . واذا رأيت عربياً ثقيلاً أو يألف الثقلاء . وبحثت عن نسبه وجدت فيه عرقاً اعجمياً .

هذا معن بن زائدة (أمير العرب المشهور) كان اذا تذاكروا بين يديه في ملذات الدنيا يقول : (ان الوقيعة في الثقلاء من الملذات) ومعنى الوقيعة فيهم غيبتهم وذكرهم بسوء . دعونا من (معن امير العرب) ودونكم ما روي عن (عليّ امير المؤمنين) فقد روى

(يمان بن ربيعة) أن رجلاً قال لسيدنا علي (ثبتك الله يا أمير المؤمنين) فقال (على صدرك) يعني ثبتني الله في القعود على صدرك فأبتك أو أثقل عليك كما ثقلت عليّ بهذا الدعاء . ولعل في جو هذه الحادثة ما يمهد العذر للامام عليّ كرم الله وجهه في أن يظهر كل هذا الضجر من ذلك الرجل الذي دعا له .

وروى الامام ابن المرزبان في (كتاب الثقلاء) خبراً عن عليّ رضي الله عنه له علاقة بالثقالة وهو أغرب من الخبر السابق :

تعلمون أيها السادة أن الاشتر النخعي من أكبر قواد سيدنا علي وأشد شيعته حباً له . ومغامرة في سبيله . وهو الذي شرب العسل في طريقه الى مصر فمات . فبلغ معاوية الخبر فقال (ان لله جنوداً منها العسل) .

فقد روى المؤلف ابن المرزبان قال: حدثنا ابو العباس عبدالله بن نصر حدثنا الحسين ابن علي حدثني محمد بن ابي الحرث حدثنا سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي قال: أخبرني عبد الله (ولعله يعني ابن عباس) أن علي بن ابي طالب عليه السلام كان يستثقل الاشتر اه.

هذا هو الخبر بسنده ومتنه . وهو محل غرابة لا يكشف سرها الا المؤرخون المدققون في أخلاق السلف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأبشع انواع الثقالات(الثقالة السمجة) تلك التي يكتبها الثقيل بقلمه في مكاتباته :فقد ولد لبعض فضلاء بغداد (واسمه ابراهيم . على اسم سيدنا ابراهيم الخليل)— ولد سماه محمداً (باسم النبي صلى الله عليه وسلم) فأرسل اليه ثقيل من اهل البصرة يهنئه به فقال (بلغني انك سميت ابنك محمداً . وانت الى أعمال الانبياء . احوج منك إلى اسمائهم . وقبل هذا كان سماك ابوك إبراهيم . فما منعك هذه التسمية من سفك الدم الحرام . وشرب أكواب المدام . واكتساب المال من الآثام . وما أدري كيف ادعو لابنك : إن دعوت له ان يشبهك فالعار والنار . وان دعوت ان لا يشبهك فالظنة والتهمة والشنار اه) يعني اذا كان الولد لا يشبه اباه كانت امه موضع تهمة والعياذ بالله تعالى .

واستثقال بعض افراد العائلة لبعضهم من اشد منغصات العائلة : كتلك الاعرابية المسكينة التي أعيتها ثقالة بعلها فهربت من بيته وقال فيها شاعر القبيلة :

(وتاركة للبيت من ثقل بعلها كأن بعينيها قذى منه تهمل)

(تود على حسن التبعل انها رأت بعلها بين العمودين يحمل)

ومعنى قولها (حسن التبعل) انها وان كانت تربت على طاعة بعلها وحسن معاشرته كما امرها الله والرسول لكن ثقالته جعلتها تهرب منه وتتمنى ان يموت ويحمل بين عمودي النعش ·

ومن هذا القبيل ماروي عن الاعمش انه استثقل جلساءه يوماً فهرب منهم الى داخل الدار · ثم لم يلبث أن عاد اليهم فقالوا له مالك عدت ؟ فقال هربت منكم فاذا في البيت من هو اثقل · قالوا من ؟ قال : زوج بنتي ·

والاعمش على جلالة قدره وحبه للنكتة يوجد في الامة العربية من هو أكبر مقاماً· وأحب للنكتة منه : ذلك هو الامام الثوري رضي الله عنه فقد سأله سائل ثقيل عن المسح على اللحية في الوضوء ؟ فقال له : خللها (اي ادخل أصابعك المبللة في خلال شعرها زيادة في التنظيف) فقال له الرجل (اتخوّف ان لا يبلغها الماء) · فقال له انقعها من اول الليل ·

أما (سويد بن عبد العزيز) فانه لا يعجبه هذا من الثوري ولا يرضيه اطالة الحديث مع الملحين في السؤال فهو ينصح ويقول : اذا ثقل عليك احد في سؤاله فألزمه عيناً عمياء وأذناً صماء ·

قلنا ان أعراب البادية تغلب عليهم الرقة ولطف الحس والنفرة من الثقالة والثقلاء ولكن مابالكم اذا كان اعرابياً وعاشقاً ايضاً كيف تكون رقته ولطافته ؟ فقد روى الاصمعي قال : اراد اعرابي ان يكلم امرأة يحبها · فنظر فاذا رجل يراقبه فامتنع من كلامها وثقل عليه الرجل فما ملك نفسه أن خاطبه بهذه الجمل التي جمعت بين خشونة السب · ونعومة العتب · فقال له : (مالك رماك الله بداء عضال · يفقدني شخصك · ويسكنك رمسك · فقد ثقلت على عاشق مسكين · لم تشبع عينه من سهادها · كما شبعت عيون الناس من رقادها)

وكان ابن مصقلة أرق الناس وأرحمهم بالثقلاء فهو لا ينهرهم ولا يسبهم · بل يتلطف بهم ويخاطبهم بعبارات غاية في اللين والنعومة فيقول للزائر الثقيل مثلاً (ياهذا دارك بعيدة والسماء متغيمة فقم مصحوباً بالسلامة) ·

وقارنوا أيها السادة بين عبارة (ابن مصقلة) المصقولة الناعمة وبين ماخاطب به منصور ابن الحجاج الثقيل فقال (اللهم اقتله · وان كان قتله يقتلني فاقتله واقتلني) ·

يكفي يا سادتي إزعاجكم بأخبار الثقلاء . وقد مضى الوقت أو كاد . وأخشى ان اثقل انا عليكم ايضاً اذا زدت على ماتقدم .

بلى يمكنني أن أزيدكم. لكن زيادة لا تعدونها من التثقيل بل تعدونها من التخفيف وترويح النفس — زيادة من أحب ماتنتعشُ به نفوسكم . وترتاح اليه قلوبكم .

تلك الزيادة هي حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم للمزح الحق اذ كان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقاً حتى إنه كان له من الصحابة (رضي الله عنهم) من يضحكه واشهرهم في ذلك الصحابي (نُعيمان بن عمرو بن رفاعة الانصاري) ممن شهد وقعة بدر رضي الله عنه .

فمن دعابات (نعيمان) أن أعرابياً قصد النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وأناخ ناقته بفنائه . فقال بعض الصحابة لنعيمان لو عقرتها فأكلناها . فانّا في شهوة الى اللحم فنحرها نعيمان لهم . وخرج الأعرابي من عند النبي صلى الله عليه وسلم فرأى راحلته معقورة فصاح (واعقراه يا محمد) فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فعل هذا ؟ قالوا نعيمان . فلحقه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الصحابة واذا بنعيمان قد اختبأ في دار السيدة (ضباعة بنت الزبير) فجعلوا يفتشون عليه . فأشار رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ورفع صوته قائلاً ما رأيته يارسول الله وأشار باصبعه الى حيث كان . وكان مختبئاً في سرب تحت أغصان من جريد النخل فأخرجه صلى الله عليه وسلم من مخبأه وقال له :

— ما حملك على ماصنعت ؟

— الذين دلوك عليّ يارسول الله . يعني انهم هم الذين امروه بما فعل .

فجعل رسول الله يمسح التراب عن وجه نعيمان ويضحك . وغرم ثمن الناقة للأعرابي .

وكان نعيمان يدخل السوق فيشتري من مأكولاتها بالدين ويأتي به النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً أهدي هذا اليك . ثم إذا طالبه صاحب الهدية بثمنها جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم . ويقول له : أدِّ هذا ثمن متاعه . فيقول النبي صلى الله عليه وسلم لنعيمان : أو لم تهده إليّ ؟ فيقول : (والله إنه لم يكن عندي ثمنه ولقد أحببت أن تأكله) .

فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يكره البؤس والتباؤس . ويحب إحداث المسرة في نفوس اصحابه واهل بيته . ومن قوله في ذلك (ألهوا والعبوا فاني اكره أن يُرى في دينكم غلظة) .

ومن الطف الاحاديث النبوية والمسامرات العائلية القدسية ماروته السيدة عائشة رضي الله عنها وهو ان امرأة من أهل مكة كانت تدخل بيوت قريش وتضحك النساء وقد اشتهرت بذلك : قالت عائشة فلما هاجرنا الى المدينة ووسع الله علينا دخلت تلك المرأة عليّ فقلت لها (فلانة !! ما أقدمك ؟) قالت (قدمت اليكن) . قلت فأين نزلت ؟ قالت على فلانة و كانت فلانة المذكورة امرأة من اهل المدينة تضحك نساءها ايضاً .

قالت عائشة وبعد قليل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

فلانة المضحكة عندكم ؟ ؟ قلت : (نعم) . قال :

(فعلى من نزلت) ؟

قلت : نزلت على فلانة المضحكة فقال :

« الحمد لله ! إن الأرواح جنود مجندة : ماتعارف منها إئتلف . وماتناكر اختلف » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مخطوطات المدرسة العثمانية

« بحلب »

كانت في الشهباء مكاتب متعددة في مدارسها وزواياها الكثيرة ، الا ان ايدي الزمان قضت عليها وشتتت شملها والبقية الباقية منها الآن هي في مكتبة الأحمدية والعثمانية والشرفية التابعة للأوقاف والمولوية وهذه المكاتب الأربع لا تمتد يد لامس بالرغم عن وجود محافظين لها . ومنذ ثلاث سنوات وقعت في الأحمدية سرقة مهمة بلغ عدد المسروق منها بالإحصاء الرسمي ٩٠ كتاباً منها ما هو في النفاسة في الدرجة الأولى وكانت النتيجة بعد المحاكمة والتحقيقات الكثيرة تبرئة السارق كأن السرقة لم تكن . ولو وقع اقل من ذلك بكثير في مكاتب اوروبا لقامت القيامة لذلك الحادث وتوالى البحث والتحقيق الى ان تظهر تلك اليد الآثمة وتجازى بما تستحقه .

ومنذ سنتين ايضاً ظفرت عند بعض باعة الكتب بكتاب عليه ختم المكتبة العثمانية فابتعته ممن هو عنده بعد استئذان ادارة الأوقاف عندئذٍ اهتمت الدائرة بعض الاهتمام واحببت على اثر ذلك ان اتحرى هذه المكتبة واكتب ما فيها فباشرت ذلك وعمل فهرس لها ولكن حالت عوائق دون اتمام ما شرعت فيه والآن عدت الى ذلك واتممت كتب التفسير والحديث فأحببت ان اتحف القراء بالنخبة من هذين القسمين اذ لا يخلو ذلك من فائدة لعشاق الكتب المخطوطة النادرة ومحبي الاطلاع على نفائسها .

« كتب التفسير »

الجزء الأول من تفسير الوسيط للامام الواحدي فيه من تفسير سورة الأنعام الى قوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) لاتاريخ لكتابته ويظهر انه مما كتب في القرن السابع أو الثامن .

الجزء الثاني منه فيه من سورة يونس الى آخر سورة الكهف لاتاريخ لكتابته ايضاً ٠
الجزء الثالث منه اوله سورة مريم وفي آخره من سورة الأحزاب الى قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) لم يذكر ايضاً تاريخ كتابته لكنه اقدم كتابة من الجزئين الأولين يظهر انه مما كتب في القرن السادس ٠
الجزء الرابع منه اوله سورة الصافات الى آخر القرآن محرر سنة ٥٧٢ بخط ابي العباس احمد بن الحسين بن حيدرة السيرافي الواسطي وهذا الجزء اقدم من سابقيه ٠
نخبة البيان في تفسير القرآن لأبي عبد الله العارف بالله الشيخ عمر بن محمد السهروردي البكري وعليه خطه في اوله وفي آخره في ذيل سماع الكتاب عليه نسخة تامة نفيسة جداً محررة سنة ٦١٣ وهذا التفسير والذي قبله لم يطبعا بعد ٠
الجزء الأول من النهر للامام ابي حيان محمد بن يوسف آخره قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم رسول من ربكم) من سورة يونس بخط احمد بن محمد بن عثمان الخطيب الطوخي بمدرسة الكهارية (من مدارس مصر على ما أظن) يظهر انه مما كتب في القرن الثامن ٠
جزء منه فيه من سورة الأنعام قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه آزر) الى آخر سورة مريم لا تاريخ عليه غير انه على ماظهر لي مما كتب في القرن الثامن ٠ وهو من وقف الملك المؤيد ابي النصر شيخ اوقفه وما قبله وما بعده على الجامع الذي انشأه بباب زويلة (في مصر) وعليه خط احمد بن علي العلائي ٠
جزء منه اوله سورة الكهف الى آخر القرآن لا تاريخ لكتابته غير انه مما كتب في القرن الثامن ظناً وعلى الورقة الأولى منه خط العلامة ابراهيم البتروني الحلبي سنة ١٠٤٧
الجزء الأول من النهر ايضاً الى آخر سورة يونس بخط محمد الأشموني بخط عادي محرر سنة ١١٤٧ والثاني منه اوله سورة هود الى آخر القرآن ٠
تفسير الكواشي المعروف بالتلخيص لأبي العباس احمد بن يوسف الكواشي المتوفى سنة ٦٨٠ الورقة الأولى مذهبة محرر سنة ٧١٠ بخط عمر بن عبدالرحيم الكردري ٠
إعراب بعض آيات من القرآن العظيم لجمال الدين ابي عمرو المعروف بابن الحاجب نسخة قديمة الخط لا تاريخ في آخرها يرجع عهد كتابتها الى القرن الثامن ٠
إعراب آيات من القرآن العظيم لأبي عبدالله الحسين بن خالويه المتوفى سنة ٣٧١ الفاتحة

وآيات من جزء عم اسئلة القرآن لمحمد بن ابي بكر الرازي محرر سنة ١٠٥٩ قطع ربع .
ايضاً اسئلة القرآن للرازي نسخة ثانية وصل فيها الى سورة (والتين والزيتون) تنقص اوراقاً .

حواشي قطب الدين علي تفسير الكشاف الى اواخر سورة طه .
عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ لابن السمين احمد الحلبي محرر سنة ١٠٥٦ .
ومن هذا الكتاب نسخة ثانية في مكتبة الأحمدية بحلب وربما كان الناسخ واحداً .
أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري .
الزبور قطع كامل خطه حسن محرر برسم عثمان باشا وباني المدرسة العثمانية وواقف الكتب فيها بخط محمد بن عيسى الكردي .
كتاب في القراآت لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني .
حاشية السعد على الكشاف نسخة نفيسة قديمة الخط من الأول الى آخر سورة الانعام .

« نفائس كتب الحديث »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجزء الاول من المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم تأليف الامام ابي العباس احمد ابن عمر ابن ابراهيم القرطبي لاتاريخ لكتابته ويظهر انه مما كتب في القرن الثامن .
الجزء الثاني منه مثل الاول خطاً وحجماً وعليه خط العلامة ابراهيم بن الملا الحلبي وخط المحدث الشيخ احمد الشراباتي الحلبي .
الجزء الثالث منه مثل الاول والثاني خطاً وحجماً .
الجزء الرابع منه عليه خط الملا ايضاً اوله كتاب فضائل الصحابة الى آخر الكتاب محرر سنة ٧٢٤ بخط محمد بن عيسى بن رزيك محرر الأجزاء التي قبله .
الجزء الأول من شرح الشفا لشيخ الاسلام الشيخ عمر العرضي الحلبي المتوفى سنة ١٠٢٤ واسمه. فتح الغفار قطعه كامل بخط خليل بن محمد محرر برسم نعمة الله افندي الكواكبي نقله من نسخة المصنف .
الجزء الثاني منه . والثالث منه بخط عمر بن احمد محرر سنة ١١٤١ وبه تم الكتاب ومن هذا الشرح نسخ متعددة في الاستانة ذكرت اماكنها في تاريخي (اعلام النبلاء) في

ترجمة المؤلف وهو شرح جليل اعتنى به مؤلفه وقد ذكره الشهاب الخفاجي في مقدمة شرحه للشفاء .

الجزء الثاني والرابع والخامس من تخريج احاديث الهداية للزيلعي . ومن هذا الكتاب نسخة كاملة في مكتبة الأحمدية بحلب .

الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحافظ الحازمي المتوفى سنة ٥٨٤ عليه في آخره خط الحافظ محمد بن سعيد الدبيثي وغيره من الحفاظ محرر في بغداد سنة ٦٣٢ بخط محمد بن احمد بن ابي بكر بن خليل البكري . وعلى هذه النسخة وعلى نسخة مطبوعة في الهند طبعت هذا الكتاب في مطبعتي العلمية .

جامع الأصول للإمام بن الأثير وهو الذي جمع فيه الكتب الستة مجلد ضخم قطع كامل مذهب الصحيفة الأولى جميل الخط لاتخاله الا طبعاً وفي آخره رجال الكتب الستة لاتاريخ لكتابته ويظهر انه مما كتب في القرن العاشر في بعض بلاد العراق [1] .

فتح المتعال في مدح النعال للعلامة احمد بن محمد المقري المغربي التلمساني نزيل القاهرة جلد واحد نسخة المصنف كما هو مذكور في آخره وفيه سبعة رسوم لنعل النبي صلى الله عليه وسلم ملونة بالألوان البديعة وفي آخرها تقاريظ لعلماء عصره من علماء الديار المصرية آخرهم سيدي محمد بن رأس العين . وهذا الكتاب طبع الآن في الهند .

نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض للشهاب الخفاجي في مجلد ضخم مذهب الورقة الأولى محرر سنة ١١٢٩ .

توثيق عرى الأيمان في تفضيل حبيب الرحمن للامام العلامة الشيخ ابراهيم بن البارزي الحموي . مجلد واحد ضخم . النسخة مقروءة على المؤلف سنة ٧٣٣ وهي بخط علي بن جمعة ابن ابي الحسن الشافعي الهلالي الحموي حررها سنة ٧٢٢ . وهذا الكتاب نادر الوجود ولا اعلم له نسخة ثانية .

---

(١) في مدرسة يحيى باشا في الموصل نسخة في مجلدين ورقها حريري جلد محلى بخط حمو الكردي في الموصل خطها في غاية الجودة وقد رتب حواشيه احسن ترتيب . اه مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلبي ص ٢٣١ .

الكاشف في رجال الكتب الستة للحافظ شمس الدين عبدالله محمد الذهبي نسخة نفيسة جداً محررة سنة ٧٥٦ اي بعد وفاة المؤلف بقليل ومقابلته .

دلائل النبوة للحافظ البيهقي مجلد ضخم بخط مغربي محرر سنة ٨٧٤ بخط محمد بن محمد ابن عبد الله بن   بن اسماعيل الدفتري المالكي .

جزء منتخب من تهذيب الكمال للمزي اختصار عماد الدين ابي بكر بن ابي المجد الحنبلي البعلبكي الأصل المتوفى سنة ٨٠٤ ومعه كتاب الضعفاء المختصر من تهذيب الكمال .

الكواكب الدراري في شرح البخاري للعلامة الكرماني نسخة في ٣ مجلدات قطع كامل .

خلافة الأئمة الاربعة للامام احمد بن حجر الهيثمي مجلد وسط قطع وسط محرر سنة الف بخط تقي الدين بن الحاج ابي بكر الموقت بجامع الكبير بحلب حسن الخط .

شرح الامام سراج الدين عمر بن ابي الحسن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ في اربع مجلدات ضخام المجلد الاول ينتقص من اوله قليلاً واول ما فيه باب ما ذكر من ذهاب موسى في البحر الى الخضر عليه السلام .

والمجلدات الأربع هي بخط دقيق جداً وناسخها الحافظ الكبير الامام ابراهيم بن محمد ابن خليل سبط ابن العجمي الحلبي المعروف بالبرهان الحلبي المتوفى سنة ٨٤١ .

المجلد الأول محرر سنة ٧٨٥ والثاني سنة ٧٨٦ وعليها خط المؤلف في عدة محلات وقد حررهما البرهان الحلبي حينما كان في مصر . وجاء في آخر المجلد الثاني ما نصه : ثم بلغ في الثاني بعد المائة قراءة عليّ ومقابلته بأصله نفعه الله واياي . كتبه مؤلفه غفر الله له .

والمجلد الثالث والرابع حررهما الحافظ البرهان الحلبي سنة ٨٣١ في حلب في المدرسة الشرفية بهذا الخط الدقيق وفي نهاية الرابع تم الشرح .

جاء في كشف الظنون في الكلام على جامع الصحيح للامام البخاري وشروحه في ص ٣٦٦ وشرح الامام سراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ وهو شرح كبير في نحو عشرين مجلداً اوله ربنا آتنا من لدنك رحمة الآية احمد الله سبحانه وتعالى على توالي انعامه الخ قدم فيه مقدمة مهمة وذكر انه حصر المقصود في عشرة اقسام في كل حديث وسماه شواهد التوضيح قال السخاوي اعتمد فيه على شرح شيخه مغلطاي والقطب وزاد فيه

ARCHIVE

قليلاً قال ابن حجر وهو في اوائله اقعد منه في اواخره بل هو من نصفه الباقي قليل الجدوى انتهى .

وذكر الحافظ السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة الحافظ البرهان الحلبي التي نقلناها عنه الى تاريخنا (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (في ج ٥ ص ٢٠٧) وكتب عنه شرحه على البخاري في مجلدين بخطه الدقيق الذي لم يحسن عند المصنف لكونه كتب في عشرين مجلداً .

وجاء في ترجمته بعد ذلك واجتهد الشيخ رحمه الله تعالى في هذا الفن (فن الحديث) اجتهاداً كبيراً وكتب بخطه الحسن الكتب فمن ذلك كما تقدم شرح البخاري لابن الملقن بل فقد منه نصفه في الفتنة (فتنة تيمورلنك) فأعاد كتابته ايضاً اه .

ويستفاد من كلام الحافظ السخاوي انه كتب جميع الشرح في مجلدين وليس كذلك لما تقدم من انه كتب النصف الأول في مجلدين سنة ٧٨٥ وسنة ٧٨٦ ويحتمل أنه تمم كتابة الجميع في اربع مجلدات ثم فقد منه النصف الثاني في الفتنة فأتمه في مجلدين سنة ٨٢١ بالمدرسة الشرفية في حلب .

وولادة الحافظ البرهان الحلبي سنة ٧٥٣ وكتابته لهذين المجلدين اللذين يبلغان عشرة مجلدات سنة ٨٢١ فيكون عمره حين اشتغاله بكتابتهما ٦٨ سنة ومن هنا تعلم علو همة هؤلاء الرجال وحرصهم على الافادة والاستفادة وان كبر السن لم يكن مانعاً لهم من الاشتغال والتحرير .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وطريقة الامام ابن الملقن في هذا الشرح انه يذكر الحديث بتمامه ثم يشرع في الكلام عليه من عشرة وجوه وهكذا وفي الجملة فهو شرح جليل من اجل شروح البخاري يضاهي شرح العيني وابن حجر ولعله في كثير من المواضع اعظم فائدة منهما ولا يؤثر فيه ما تقدم من قول الحافظ السخاوي .

وهو لعظم فائدته جدير بالطبع فعسى ان ينهض لابرازه الى عالم المطبوعات بعض ارباب المطابع في مصر فتتم الاستفادة منه .

شرح المصابيح للامام فضل الله التوربشتي مجلد واحد محرر سنة ٧١٢ .

شرح المناوي الكبير لجامع الصغير للجلال السيوطي في سبع مجلدات نسخة كاملة .

الجزء الثاني من المناوي ايضاً .

القرب في فضل العرب تأليف الحافظ الزين العراقي .

بهجة المحافل واجمل الوسائل بالتعريف برجال الشمائل تأليف الشيخ ابراهيم اللقاني .

الاصابة في اسماء الصحابة للحافظ بن حجر في مجلدين بخط محمد الداغستاني كتبها سنة ١١٢٩ .

التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للامام الزركشي جلد واحد محرر سنة ٨٤٨ .

الجزء الاول من سنن ابي داود الى آخر الجزء السادس من اجزاء الخطيب وعليه خط الحافظ يوسف بن عبد الهادي وسماعات كثيرة .

الاستيعاب في أسماء الأصحاب للحافظ بن عبد البر الاندلسي في اربع مجلدات بخط مغربي وعليها سماعات متعددة مكتوبة بقرطبة والأجزاء بخط ابراهيم بن يحيي بن ابراهيم حررها سنة ٥٢٣ فهي محررة بعد وفاة المؤلف بقليل ولعل هذه النسخة انفس نسخ الاستيعاب الموجودة في الدنيا .

المنهاج للامام ابي عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي المتوفى سنة ٤٠٣ وهو من رجال ابن خلكان وهو في ثلاث مجلدات ضخام وهو شرح الحديث واحد وهو قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة آخر الجزء الاول «فصل: فأما الفرق بين دعاء الرجل لغيره بالحضر وبين الشفاعة له» . قال في آخره يتلوه في الجزء الثاني : الثالث عشر من شعب الايمان وهو باب التوكل على الله جل ثناؤه . وهو بخط محمد بن احمد بن سليمان المالكي محرر سنة ٧٤٥ .

والجزء الثاني ليس عليه تاريخ كتابته لكنه بخط الناسخ الأول وعلى هذا الجزء خط شيخ الاسلام الشيخ عمر العرضي الحلبي شارح الشفا للقاضي عياض .

الجزء الثالث منه وهو تتمة الكتاب عليه خط العرضي ايضاً وليس عليه تاريخ كتابته لكن الناسخ واحد . ومنه نسخة في المكتبة السلطانية بمصر ولكن مما يؤسف له ان كثيراً من اوراقه في الأجزاء الثلاثة ملتصقة بعضها ببعض لمطر كان اصاب هذه النسخة وغيرها وذلك لقلة العناية بأمر المكتبة وعدم المبالاة في امر حفظها من امثال ذلك .

واتمنى ايضاً ان يقيض الله لهذا الكتاب من يقوم بأمر طبعه لينتشر وتتم فائدته .

الحلية النبوية الشريفة وهي ورقة واحدة فيها صحيفتان فيهما نعت النبي صلى الله عليه

وسلم بخط درويش محمد المولوي بخط جميل جداً الصحيفة اليمنى ضمن سطور مكتنفة بالوان من الاحبار والدهانات العجيبة ومموهة بالذهب واليسرى شجرة ملونة كذلك ومموهة بالذهب وهي ضمن غلاف من جلد ·

كتاب فضل الخيل للحافظ شرف الدين الدمياطي المتوفى سنة ٧٠٥ مجلد واحد عليه في آخر صحيفة منه خط المؤلف وسماع عليه سنة ٦٨٩ بالقاهرة وخطه حسن وهو مضبوط بالشكل وهو من نفائس هذه المكتبة ايضاً ·

وقد وفقت لطبع هذا الكتاب على هذه النسخة وعلى نسخة أخرى هي في مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب محررة سنة ٧٢٩ وقد اخذت بالمصور الشمسي صحيفة من تلك وصحيفتين من هذه وطبعت معه كتاب رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد للعلامة الشيخ محمد البخشي الحلبي المتوفى سنة ١٠٩٨ ·

حلب : محمد راغب الطباخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحلة اوليا جلبي

- ٣ -

ثم سرنا الى الجنوب فكنا نجتاز تارةً أماكن صخرية وتارة مستنقعات وآجاماً الى ان وصلنا بعد ست ساعات الى قلعة المضيق (١) . وهي قلعة صغيرة

---

(١) اخطأ الجلبي في المدة التي ذكرها . فالبعد بين جسر الشغر وقلعة المضيق ٤٥ كيلو متراً لا تستطيع القافلة اجتيازها باقل من اثنتي عشرة ساعة . والخارج من جسر الشغر في يومنا يسير بادئ بدء في طريق السيارات المعبدة احسن تعبيد الآتية من اللاذقية والمتجهة شرقاً نحو الجبل الوسطاني فسهل الروج فجبل الزاوية فسهول اريحا وادلب وحلب وبعد ستة كيلو مترات يودعها عند مفرق بين قريتي فريكة وسللي وينحرف الى الجنوب فيمر باراضي قرية الزيادية ويلمح عن بعد على يمين العاصي قرى الكفير وقرقور والزيارة . ثم يمر بقرية قسطون التي تعد من اخصب قرى الروج واكثرها غلالاً وكان فيها حصن قال عنه ياقوت : قسطون حصن كان بالروج من اعمال حلب نزل فيه ابو علي الحسن العقيلي في سنة ٤٤٨ فاستولى عليه وخربه اه .

وبعد قسطون ينتهي سهل الروج ويدخل السائح في سهل الغاب متتبعاً الرصيف الروماني القديم وهو صنع الذين بنوا مدينة افامية ومدوه منها الى انطاكية ولا تزال احجار هذا الرصيف وامياله ماثلة للعيان في مواضع كثيرة من سهل الغاب وفي الشمال عند دركوش تغيب تارة وتظهر أخرى فتسير في سفح اعضاد جبل الزاوية ولا تفارقه وترى عليه كثيراً من جلاميد الصخور المتدحرجة بفعل العوامل الطبيعية على كر الدهور . واعضاد جبل الزاوية وفرعه الجنوبي المسمى شحشبو نسبة لقرية ذكر ياقوت انها من قرى افامية واقفة كالجدار

شرقي سهل الغاب كما ان جبال النصيرية التي كان يدعوها الرومانيون برجيليوس ودعاها ابو الفداء جبل الخيط واقعة في غربيه اما المستنقعات والآجام التي اشار اليها اوليا چلبي فهي بطائح سهل الغاب الفسيح وادغاله وهذه تنقلب في فصل الشتاء الى بحيرة عظيمة تدعى بحيرة افامية تحصل من نهر العاصي الذي لا يجد متسعاً عند قرية قرقور وما بعدها ليجري براحة في زمن طغيانه ثم من الانهر والينابيع الكثيرة التي تنبجس من سفوح الجبال المحيطة بذلك السهل من الشرق والغرب . وبحيرة افامية ما برحت كما وصفها ابو الفداء « يحيط بها القصب والصفصاف من كل جانب وفي وسطها غابة من القصب والبردي وبها من انواع الطيور مثل الثمات مثلثة الثاء والغريرات والبجع والاصواغ والاوز والطيور التي تأكل الاسماك مثل البلطط والابيضانيات وغير ذلك من طيور الماء وفي ايام الربيع ينبت فيها النيلوفر الاصفر حتى يغطي مجموعها اهـ .

وقال شيخ الربوة : بحيرة افامية بحيرة كبيرة يدخلها العاصي ويخرج منها ولها سكر يصاد فيه نوع من السمك شبيه بالحيات يسمى انكليس لحمه شبيه بالألية المشوية وللناصري (لعله يعني الملك الناصر محمد بن قلاوون) فيه رغبة عظيمة يحمل في المراكب اليهم (كذا) داخل البحر ضمانه في السنة نحو ثلاثين الف درهم . وقال في موضع آخر : بحيرة فامية يشقها العاصي ولا يلتقي احدهما بالآخر وفيها من السمك الانكليس والسلور ما لا يوجد بغيرها اهـ .

ومن الغريب ان جغرافيي العرب واخص بالذكر ياقوت وشيخ الربوة وابو الفداء اكتفوا بوصف بحيرة افامية ولم يذكروا اسم سهل الغاب ولا وصفوه حتى انه لم يرد في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ الا مرة (طبع جامعة برنستون صحيفة ٢١٨) في حكاية « انهزم فيها السبع الى الغاب » . ولم افهم اي غاب كان يعني . لأنه ذكر هذا السهل في موضع آخر (صحيفة ٥٨) باسم مرج افامية وانه استاق منه غنيمة كبيرة من الجواميس والبقر والغنم . اما كتبة الافرنج فقد قالوا ان سهل الغاب كان في زمن السلوقيين مجففاً يزرع ويستثمر وان استرابون اطنب بخصبه ووفرة غلاله وربما كان يربى فيه من قطعان الجواميس والخيل وان القدماء اقاموا فيه سدوداً وحفروا خنادق لمنع طغيان العاصي . ذكر السائح الافرنسي « كيليوم راي » انه شاهد منها في سنة ١٨٦٠ سداً له فتحات وفي جنوبي الغاب ضيعة

تدعى الخندق في جوارها خندق قديم كان خاصاً بتصريف المياه نحو العاصي وكانت برزية تفترق عن افامية بجبيرة تحصل من سد على النحو الذي ذكره ابو الفداء فيما ننقله عنه في وصف برزية · هذا وقد درس المهندسون في زمننا مشروع تجفيف الغاب وتنظيم طرائق ربه واعداده للحرث والزرع ولا يعلم متى يمكن البدء بالعمل · فمن عُني بهذا المشروع وكتب عنه تقريراً ضافياً المهندس ويلهلم مستشار وزارة الاشغال العامة في حكومة الاتحاد السوري الملغاة في سنة ١٣٤٤ قال ماخلاصته : بعد ان يجتاز نهر العاصي حماة يجري في واد يختلف سعةً وضيقاً بين مكان وآخر ثم يسيل في مضيق عميق الغور ينفرج لجأة في بدء سهل متسع يبدأ من قلعة شيزر وعلى بعد عشرة كيلو مترات من هذه القلعة يصبح السهل مستنقعاً ويدعى (الغاب) وهو يبدأ من قرية تل سلحب وينتهي قرب قرية قرقور وطوله ستون وعرضه عشرة كيلومترات ومساحته ٦٠٠٠٠ هكتار وأرضه تتألف من تربة عميقة ينساب العاصي فوقها محاطاً بالمستنقعات الكثيرة وهي في الضفة اليسرى أكثر منها في اليمنى · لكن هذه التربة تصبح بعد قرية قرقور مؤلفة من الحزار فيعود العاصي للجري في واد ضيق تحيط به الجلاميد العظيمة العالية · يبقى العاصي هادئاً سالكاً مجراه خلال اشهر الصيف · فاذا جاء الشتاء يرتفع مستواه فيطفو على الارضين المحيطة به وهي مساوية له في الارتفاع فيغمرها الى مسافات بعيدة ناهيك بالامطار التي تهطل هنا اي تهطال ، والسيول التي تتساقط من الجبال المجاورة والينابيع التي تنبجس من سفوحها · وتجفيف سهل الغاب واستثماره حسب الاساليب الزراعية الحديثة مشروع عظيم ينفع بلاد الشام ويدر عليها ارباحاً جزيلة لان ارضه مؤلفة من طمي الحرّات المعروف بخصبه ووفرة مواده الغذائية · ولاجل ذلك ينبغي منع فيضان العاصي عليه ثم تجفيفه باقامة مجار كثيرة للصرف ثم ربه خلال اشهر الصيف بشبكة من القنوات · ففيضان العاصي يدفع بتعميق مجراه واقامة جدرانه وتخفيض السد الموجود امام قرية قرقور · ولا صعوبة في هذا العمل لولا انه كثير النفقات · ويقام سدان عظيمان من التراب على ضفتي العاصي يبعد الواحد عن الآخر ٤٠٠ — ٥٠٠ متر حتى اذا ما طغى العاصي كان لماء من سعة الارض بين السدين ما يحول دون انهدامها · ويحفر في جانبيها الايسر وفي قاعدتيها خنادق او مصارف للمياه المنصبة من السهل فتوصلها الى العاصي

في نقاط مناسبة منه . وقد حسبوا كية ماء العاصي في اوائل الخريف بالامتار المكعبة وفي الثانيـة فبلغت عند خروجه من شيزر ١٨ وفي مصبه عند قرقور ٢٧ وتغذي هذه الزيادة الينابيع الكثيرة التي تنبجس من سفوح الجبال وتنبع في جوانب السهل ، واهمها نبع (باب الطاقة) في الضفة اليمنى فان قوة مائه لا تقل عن المترين المكعبين في الثانية . هذا وليست الاراضي القابلة للري منحصرةً في سهل الغاب بل هناك سهول ونجود واسعة تمتـد من قلعة شيزر على ضفتي نهر العاصي يسهل ريها فيقام لهذه الاراضي في زور (التريمسة) سد قليل العلو يسقي قناتين الواحدة لري ارض الضفة اليمنى والثانيـة لري الضفة اليسرى وطول كل منهما ٧٥ كيلو متراً ثم يبنى في نقاط مختلفة وعلى طول هاتين القناتين مأخذ يجري الماء منها الى قنوات ثانوية ومن هذه الى قنوات التوزيع على الحقول، فيصبح الغاب مخترقاً بشبكة من القني تسوق الماء الى مختلف مواقعه واراضيه وما فاض منها يصب في العـاصي امام قرقور . والمساحة الممكن ريها بعد اتمام هذا المشروع الكبير تقرب من تسعين الف هكتار وهي تنتج احسن الغلال من القطن وغيره لزكاء التربة كما اسلفنا وغزارة مياه الري وجودة الاقليم اذ السهل لا يعلو عن سطح البحر اكثر من ٢٠٠ متر وجبال النصيرية تدرأ عنه الرياح الغربية اه .

هذا والسائح يدخل بعد قسطون في سهل الغاب فيمر بضياع تدعى قليدين والعنقاوي والعمقية وحواش والحويجة والحويز وبعض سكان هـذه القرى بدو حرائون يدعون ان جدودهم جاؤا من بطائح الفرات في العراق ، ويمر بالعريمي والجماسية والشريعة والتويني الى ان يصل الى قلعة المضيق . ويلمح في وسط سهل الغاب ضياع تكون في ايام الفيضان كالجزائر لا يوصل اليها الا بقوارب رفيعة تدعى الجروف منهـا الجيد والرصيف والقريم والخندق واهلها نصيرية . وبيوت ضياع الغاب اخصاص حقيرة تحيط بها الأدغال والمياه واهلها صفر الوجوه هزلى ينتقلون كسكان اواسط افريقية في القوارب التي ذكرناها ويعيشون على تربية الجاموس وصيد السلور الذي يرسل في فصل الشتاء لاكثر بلاد الشام الشمالية حيث يؤكل بكثرة ويصطادون الطيور المائية وعد ابو الفداء بعضها فينتفون ريشها ويلتقطون بيوضها ويزرعون الذرة البيضاء في الارض التي تنحسر عنها المياه في

من اعمال أيالة حلب بنيت قرب بحيرة تسمى باسمها فوق هضبة مشرفة على السهول والآجام المحيطة بها · وقد سميت بالمضيق لان الذي بناها كان من وزراء نورالدين الشهيد واسمه مضيق(١) · ثم غادرناها فوصلنا بعد سبع

الصيف · ونبع الطاقة من احسن اماكن صيد السلور لانه حينما يقرس الشتاء وتبرد مياه العاصي يلجأ السلور الى مياه هذا النبع الدافئة في كثرة هائلة فيسطو عليه اهالي الغاب ويصطادونه بحراب خاصة · وجبال النصيرية المطلة على سهل الغاب من علو ١٦٥٠ متراً فمادون تنحدر نحوه بميل سريع فتؤلف بقمةوعرة يدعونها (الشعرة) فيها وهاد سحيقة وعقبات كأداء تزينها الغابات الغيباء من مختلف الأشجار والأنجم وتسرح فيها النمور والدبب والذئاب وقطعان الخنازير البرية يقصدها غواة الصيد منذ القديم · وفي سفح هذه الجبال على يسار العاصي مما يتبع قضاء صهيون من اعمال حكومة اللاذقية قرى سرمانيا وبرزية وفريكة ونبول وشطحة واستركي وغيرها وسكانها نصيرية · وصف ابوالفداء برزية وقلعتها فقال : حصن برزية من جند قنسرين قلعة صغيرة في ذيل الجبل المعروف بالخيط من شرقيه مطلة على بحيرات فاميا ويتصل بها مياه البحيرات والأقصاب الى تحت برزية وليس بها كائن ساكن الا المرتبون لحفظ القلعة ويعتصم بها اهل البلاد في ايام الجفل وهي عن فامية في جهة الشمال والغرب على نحو مرحلة في الماء فان بحيرات فامية واقعة بينها وبرزية في جهة الجنوب عن الشغر وبكاس على مرحلة قوية اه · وفي أعالي هذه الجبال المطلة على البحر من القلاع التاريخية التي ذكرت في وقائع الصليبيين والاسماعيليين ابدو وصيون والمهيلبة (بلاطنس) وثمة قرى وضياع كثيرة منتثرة بين أودية هذه الجبال وآجامها الوعرة وفيها الحراج الغيباء والينابيع السارية والمناظر الجميلة · وبعد ان بقيت هذه القرى في السنين الخالية في منعزل لاتنالها ايدي الجيوش الا بالعناء لوعورة مسالكها وجلفة اهلها ذللت في العهد الأخير صعابها ومهدت شعابها فصارت السيارات تجول فيها وجعل في بعض قراها المرتفعة الجيدة الهواء والماء والمنظر كمنتفة أماكن للاصطياف والتصف على الطراز الحديث ·

(١) قلعة المضيق هي قلعة مدينة أبامية القديمة التي كان يدعوها مؤرخو العرب تارةً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

باسم فامية وتارة أفاميـة وقد ذكرت في شعر ابي العلاء بالالف حيث قال : ولولاك لم تسلم أفامية الردى . قال عنها ياقوت في المشترك : أفامية مدينة عظيمة قديمة على نشز من الارض لها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب اه . كان اسم هذه المدينة قديماً فارناك ثم دعاها الاسكندر المكدوني بللا باسم البلدة التي ولد فيها ابوه فيليب وبعد موته دخلت في حوزة سلوقس نيكاتور مؤسس الدولة السلوقية فزاد في عمرانها وتحصينها ودعاها باسم امرأته الاميرة الفارسية اباميا وجعلها موقعاً عسكرياً مجهزاً بجميع العدد والعدد والمصانع والاصطبلات وشاد فيها مدرسة حربية للفرسان ، وخصب سهل الغاب القريب منها ووفرة مراعيه ذخر فيها مئات من الفيلة المجلوبة من الهند وعشرات الالوف من الجياد والجواميس . وظلت أفامية في عهد السلوقيين زاهية بعظمتها وجمالها ووفرة سكانها ورفههم تحسب الاولى بين مدن الشام الشمالية بعد العاصمة انطاكية الى ان جاءها كيخسرو الثاني ملك الفرس في سنة ٥٧٣ ميلادية فنهبها وأحرقها وسبى أهلها وجاءت الزلازل فقضت على ما بقي منها قائماً ولم يرتفع لها شأن بعد ذلك ولم يبق الدهر من تلك المدينة الجليلة سوى حصنها الذي كان مبنياً فوق تل قريب في غربيها دعي بعد حين باسم قلعة المضيق . ولما فتح المسلمون هذه الديار شاهدوا افامية خراباً كما هي الآن فاكتفوا بحصنها ولم يعمروها قط وهم اذا ذكروها عنوا حصنها والقرية المبنية داخله . قال البلاذري : سار ابوعبيدة في سنة ١٧ بعد افتتاح شيزر الى فامية فتلقاه اهلها بالصلح فصالحهم على الجزية والخراج . وذكر ياقوت حادثة جرت في ايام العباسيين للمتولي عليها وكان رجلاً كردياً أغرى القرامطة في سنة ٢٩٠ باهل المعرة فقتلوهم قتلاً ذريعاً فلما انقلبت الآية وقتل رئيس القرامطة عوقب الكردي فهرب والقى بنفسه في بحيرة افامية فقال فيه احد شعراء المعرة :

توهم الحرب شطرنجاً يقلبها   للقمر ينقل منه الرخ والشاها
جازت هزيمته أنهار فامية   الى البحيرة حتى غط في ماها

وفي العهد العباسي ظلت تتعاور حصن افامية أيدي الامراء التابعين للفاطميين والسلجوقيين وفي الحروب الصليبية استولى عليه تنكرد برنس انطاكية وبقي بيد الصليبيين نحو نصف قرن ثم جاءه نور الدين الشهيد في سنة ٥٤٥ فاستخلصه منهم . قال ابن الأثير

في حوادث هذه السنة : وفيها سار نور الدين الشهيد الى حصن افامية وهو للفرنج ايضاً وبينه وبين حماة وشيزر مرحلة وهو حصن منيع على تل مرتفع عال من احسن القلاع وامنعها وكان من به من الفرنج يغيرون على اعمال حماة وشيزر وينهبونها فسار نور الدين اليه وحصره وملكه وحصنه بالرجال والذخائر وكان قد اجتمع الفرنج وساروا ليرحلوه عنه فملكه قبل وصولهم فلما بلغهم فتحه تفرقوا اه . وفي الزلزلة الهائلة التي حدثت في سنة ٥٥٢ خرب حصن افامية فيما خرب من بقية الحصون والمدن في شمالي الشام فرممه نور الدين واليه ينسب معظم مبانيه . وبعد وفاة السلطان صلاح الدين الايوبي في سنة ٥٨٩ استقر هذا الحصن ومثله حصون برزية وكفر طاب وبعرين بيد الأمير عز الدين ابراهيم بن المقدم ثم اخيه شمس الدين عبد الملك من بعده . لكن ابن صلاح الدين الملك الظاهر غازي صاحب حلب استخلصه منه ولما زالت دولة الايوبيين عن الديار الحلبية انتقل حصن افامية كغيره الى ايدي المماليك . ولا يعلم اذا كان جيش هولاكو التتري وصل اليه في ذلك العهد ونال منه . وفي سنة ٦٦٨ جاء الملك الظاهر بيبرس الى حصن افامية وجمع جيوشه فيه ثم زحف منه على انطاكية واستولى عليها وفي ايام الملك المنصور قلاوون كان حصن افامية في حوزة الأمير الثائر سنقر الأشقر . وبعد خروج الصليبيين وزوال الحاجة للدفاع لم يبق لهذا الحصن مكانة حربية بل ظل كما هو الآن عبارة عن قرية يعتصم اهلها فيها من هجمات البدو والنصيرية وهؤلاء كثيراً ما كانوا يغيرون عليها وعلى غيرها من القرى ايام الفتن في عهد المماليك والعثمانيين .

هذا ومدينة افامية لا تزال على ما فعل بها الفرس خراباً يباباً تروع الزائر بفخامة اطلالها وجمال رسومها وعظمة مساحتها البالغة مائتي هكتار . ففيها انقاض سورها القديم وكان عليه ابواب لم يبق منها الا الباب الشمالي الذي قنطرته واطلال البرجين المحيطين به ماثلة . وثمة شارع عظيم مستقيم يمتد من الشمال الى الجنوب طوله يزيد عن ١٦٠٠ متر كان على جانبه صفان متقابلان من الاعمدة الجسيمة لا تزال قواعدها او بعض اقسامها المهشمة ظاهرة . وهناك شوارع أخرى مستقيمة تتشابك في مواقع عديدة مع الشارع الاعظم . وحول هذه الشوارع تجد اينما سرت دوراً وقصوراً متهدمة وجدراناً متداعية واحجاراً منحوتة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مبعثرة وقواعد وتيجان اعمدة واعمدة طويلة ضخمة متعددة او منتصبة سطوح بعضها مستوية وسطوح الأخرى مخرمة بخطوط مقعرة وناتئة مستقيمة او حلزونية وكلها من الصخر الجيري الأشهب الذي قضمه الطحلب وفعل فيه كر الدهور . وقد كانت افامية في عهد أسامة بن منقذ على هذه الحالة اذ يقول في كتابه الاعتبار صفحة ٤٧ «وسرنا الى افامية فلقينا فارسهم وراجلهم — يعني الافرنج — في الخراب الذي لها وهو مكان لا يتصرف فيه الخيل من الحجارة والاعمدة واصول الحيطان الخراب» . قامت بعثة اثرية بلجيكية منذ خريف سنة ١٣٤٩ بحفر تلك الخرائب فكشفت آثار عديدة بانت منها شوارع المدينة وبعض مبانيها وجدرانها وكثير من تيجان الاعمدة وقواعدها المنقوشة والمخططة باشكال واغصان جميلة ونبشت البعثة مركز توزيع المياه الآتية بقناة عظيمة من شمال البلدة واظهرت الاسطوانات الحجرية الضخمة والقساطل الخزفية الصغيرة التي كانت تتألف منها قنوات الماء الموزعة على المدينة كلها باسلوب غاية في الاتقان والمتانة واطلعت على بعض الآثار الخاصة بعبادة باخوس اله الخمر وهي دائبة على العمل في خريف كل سنة وعساها تتوفق لاظهار دفائن هذه المدينة التاريخية الجميلة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما حصن افامية فلا يزال فوق تله الكبير العالي يشرف في الغرب على جبال النصيرية وعلى سهل الغاب ووادي العاصي وفي الشمال على جبل الزاوية وفرعه الجنوبي المسمى شحشبو وفي الجنوب والشرق على سهول ناحيتي طار العلا وخان شيخون . وكان يحيط بالتل خندق عظيم زال معظمه على انه ليس في هذا الحصن قلعة كبيرة كما في حصن شيزر وحصن الاكراد بل سور عظيم على هيئة مضلع غير منتظم تتخلله ابراج كثيرة مربعة الشكل وفي اسفل السور رصيف من الحجارة كان التل مصفحاً به كما في قلعة حلب وحمص وغيرهما وقد خرب القسم الغربي من السور كما ان المباني التي كانت تعلوه دثرت بالكلية . وفي شمالي الحصن برج جميل البناء في وجهه القبلي كتابة تحوي اسم الملك الظاهر غازي صاحب حلب تاريخها ٦٠٤ وفي قبليه باب كبير ذو قنطرة يدخل منه الى القلعة يحرسه برجان متقاربان وعلى الباب كتابة تحوي اسم الملك الناصر يوسف صاحب حلب وهو حفيد الظاهر غازي تاريخها ٦٥٤ وهاتان الكتابتان ، وفقدان كل اثر للسلوقيين والصليبيين ، وشكل الابراج المربعة واقسامها

الداخلية والاعمدة التي حشيت في عرض جدرانها ، وشكل برجي الباب اللذين يؤلفان ما يسمى في كتب العرب باشورة كل ذلك يدل على أن بناء هذا الحصن عربي صرف وكذلك طراز هندسته وهو من آثار نور الدين محمود بن زنكي والأيوبيين من اعقاب صلاح الدين حكام حلب . هذا والقرية التي في داخل الحصن كبيرة يبلغ عدد سكانها نحو الفين حافلة بالدور المبنية من انقاض السور والابراج واهلها يصعدون وينزلون كل يوم الى مزارعهم ومراعيهم التي في اسفلها وجوارها ويشربون من الينابيع التي في سفح التل وشأنهم في الهزال واصفرار الوجوه شأن بقية قرى الغاب الا قليلا . وفي خارج الحصن على مقربة من بابه القبلي جامع صغير حسن البناء من عهد العثمانيين لكنه اصبح خراباً مهجوراً وفي قربه خان خراب من آثار الوزير سنان باشا الشهير كانت تأوي اليه قوافل التجار والحجاج القادمة من اناطاكية الى حماة وماوراءها . واقاموا في غربي الحصن على احد روافد العاصي سداً له فتحات يحصل بسببه بحيرة تمتلئ بالسمك فيصطادونه . وقد اتخذت قرية قلعة المضيق قاعدة لناحية الحقوها في السنين الأخيرة بقضاء المعرة تتبعها القرى التي تقدم ذكرها في بحث سهل الغاب . ولا يعرف العهد الذي تبدل فيه اسم حصن افامية وهو المصطلح عليه في عامة التواريخ القديمة فصار قلعة المضيق ولم اعلم من اين اتى اوليا چلبي برواية ان احد قواد نور الدين الشهيد كان اسمه مديق او مضيق تولى عليها مدة فسميت باسمه . ولم اعثر في كتبنا القديمة على كلمة المضيق الا عرضاً في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي عند ذكره الموقعة التي جرت حول افامية في سنة ٣٨٧ لما حاصرها الروم وضايقوا اهلها وجاء جيش ابن الصمصامة والي دمشق لاستخلاصها فكسر الروم وقتل ملكهم قال : وكانت الوقعة في مرج الديح يطيف به جبل يعرف بالمضيق لايسلكه الا رجل في اثر رجل ومن جانبه بحيرة افامية ونهر المقلوب فلم يكن للروم مهرب في الهزيمة اه . فيظهر من ذلك ان سهل الغاب كان يدعى مرج افامية وقلعة المضيق حصن افامية وذيل جبل الزاوية المشرف على هذه القلعة المضيق ونهر العاصي النهر المقلوب ، ولم يشذ احد من الكتب التي اطلعت عليها عن ذلك .

ساعات الى قلعة شيزر (١)

« للبحث صلة » وصفي زكريا

(١) بعد قلعة المضيق يجتاز السائح وادي الجفر ويتجه جنوباً فيغادر ولاية حلب ويدخل ناحية طار العلا من اعمال لواء حماة التابع لدمشق ويمر في سهول بعيدة الاطراف لا شجر فيها ولا حجر ذات تلعات متموجة وتلال يعثرت فيهما كثير من القرى والضياع ومضارب البدو فيمر من ضياع صغيرة كالجرنية وحيالين وجملة وتل ملح ويرى على يمينه على سيف الغاب الصقيلبية ذات الدور البيضاء وهي كبيرة واهلها روم ارثوذكس يبلغون الالفين اشتهرت بقمحها الذي يتخذ للبذر في الديار الحموية وقرى صلبا والعونية وكفر يهود وثمة على العاصي عمورين والعشارنة والتريمسة او تل الترمسي كما قال أسامة وفي العشارنة جسر على العاصي يجتازه قاصدو جبال الكلبية وقراها · وفي شرقي هذه الطريق كفر نبوذا ومغير وكرناز وبريديج والشيخ حديد وجبين والزلاقيات ووراء هذه القرى كفر زيتا واللطامنة ومورك الشهيرة ببطيخها وصوران وطيبة الامام · وهكذا الى ان يهبط السائح وادي العاصي ويصل الى جسر شيزر وقلعتها بعد اجتياز ٢٧ كيلو متراً · وكل هذه القرى التي عددناها ذات تربة رملية طينية حمراء معروفة بخصبها وانباتها الزروع الصيفية والشتوية عذياً وبيوتها في الضياع تكون اكواخاً مستطيلة من القصب والقش يدعونها طامات وفي القرى قباب مخروطية او دور حجرية · ذكر ياقوت في معجمه من هذه القرى عمورين وسماها عمورية ودعاها بليدة وهي الآن ضيعة صغيرة قال : عمورية بليدة على شاطئ العاصي بين فامية وشيزر فيها آثار خراب ولها دخل وافر ولها رحى تغل مالاً اه · وذكر أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار اسماء كفر نبوذا وتل ملح وتل التلول · وقال ان تل ملح كان مكمناً للافرنج عند اغارتهم على شيزر ·

وجبال النصيرية المشرفة على هذه الطريق تعد من الشعرة التي تقدم ذكرها ووصفها في سفحها من القرى الجديرة بالذكر مرداش وعناب وعين الكروم وهذه كبيرة ذات اربع ضياع اتخذت مركز ناحية وفقرو وحدادي ، وكل هذه القرى على سيف الغاب وثمة عين تدعى عين الجراص في قربها هضبة قامت عليها ضيعة تدعى قلع الشيخ ملوخ يلوح لي انها

مكان حصن الجراص الذي استخلصه ابو الحسن علي بن منقذ من الروم قبل ان يستلم منهم شيزر في سنة ٤٧٤ · قال البستاني في دائرة المعارف عن عناب التي تناوح قلعة المضيق انها هي آنب التي حدثت حولها في سنة ٥٤٤ هـ معركة هائلة بين نور الدين وريموند دوبواتية برنس انطاكية فانتصر نور الدين وهنأه القيسراني بقصيدة جاء فيها :

وعسكرك الذي استولى مسيحاً على ما بين فامية وسيح
بآنب يوم ابرزت المذاكي من النقع الغزالة في مسوح
غداة كأنما العاصي احمراراً من الدم عبرة الجفن القريح

وجاء في كتاب الدليل الازرق لمونمارشة ان هذه المعركة حصلت عند ضيعة تدعى إنب في سهل الروج وفي خطط الشام للاستاذ كرد علي ج ٢ ص ٢٣ ان إنب هذه من اعمال اعزاز · على ان اوصاف القصيدة تنطبق في الغالب على عناب القريبة من افامية والعاصي بينما إنب الروج او تنب اعزاز يبعدان عنهما ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٣ —

حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الله الأهوازي قال حدثني ابو الفضل البلخي الفقيه قال حدثني الخليل بن احمد السجستاني قاضيها قال قدم علينا صاحب جيش خراسان من قبل نصر بن احمد ومعه خلق عظيم من الجيش فملك سجستان واكثر أصحابه الفساد في البلد وامتدت أيديهم الى النساء في الطرقات قهراً . قال فاجتمع الناس اليّ والى فلان الفقيه وقد ذكره البلخي وأنسيته انا وشكوا الحال فمضينا معهم الى صاحب الجيش فدخلت اليه انا والفقيه وجماعة من رؤساء البلد وكان المبتدئ بالخطاب الفقيه فوعظه وعرفه مايجري قال فقال له ياشيخ ماظننتك بهذا الجهل معي ثمانون الف رجل نساؤهم ببخارى فاذا قامت .... كيف يصنعون ؟ ينفذونها بسفاتج الى حرمهم ؟ لا بد لهم ان يضعوها فيمن هاهنا كيف استوى لهم هذا الامر فلا يمكنني (١) افساد قلوب الجيش بنهيهم عنه فانصرف . قال فخرجنا . فقالت لنا العامة

(١) كذا بالاصل .

أيش قال الامير قال وأعاد عليهم الفقيه الكلام بعينه فقالوا هـذا القول منه فسق وامر بالفسق ومكاشفة بمعصية الله تعالى فهل يحل لنا عندك قتاله بهذا القول؟ فقال لهم الفقيه نعم قد حل لكم قتاله قالوا : فتأذن قال : نعم . قال فبادرت العامة وانسللنا من الفتنة فلم نصل المغرب من تلك الليلة وفي البلد احد من الخراسانية . قال : لانه اجتمع من العامة من لا يضبط عدده فقتلوا خلقاً عظيماً من الخراسانية واستحر القتل فيهم ونهبت دار الامير وطلبوه ليقتلوه فافلت على فرسه ومعه كل من قدر على الهرب ومضوا على وجوههم فما جاءنا بعدهم جيش من خراسان اصلاً .

***

حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن مهرويه المعروف بابن ابي علان قال حدثني ابن ابي القاسم قال كنت اكتب لعبيد الله بن الحسن بن يوسف على كور الأهواز فكتب علي بن عيسى يطالبنا بالحساب فتقدم الى ابي احمد عبيد الله بن الحسن بعمله وبالخروج للموافقة عليه وذلك في سنة ٣٠٦ قال : فجمعت الحساب وحملت(١) جماعة(٢) لسنة ٣٠٥ بارتفاع مال الخراج بالأهواز وكورها سوى الضياع فكان مبلغ ذلك ستة عشر الف الف وثلاثمائة الف درهم وكسر وكلها قد صح في الاستخراج ولم يبق للسلطان الا نيف واربعين(٣) الف درهم قال فكان مال الضياع يقارب هذا الا انه لم يكن في حسابنا .

(١) لعلة وحصلت وعملت . (٢) قال في مفاتيح العلوم : الموافقة والجماعة حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل . (٣) كذا بالاصل .

حدثني عبدالله بن عمر الحارثي قال عجل عليَّ الشيب فغمني ذلك وفكرت في ان أخضب لحيتي فنمت فرأيت في النوم كأني أشاور طبيباً في خضاب فقال لي لاتحتاج الى خضاب ولكن أصف لك شيئاً يسوِّد الشعر ويحفظ لونه ويمنع من السواد ان يبيضَّ . خذ دهن الترجيل العتيق وزن خمسة دراهم ومن الاهليلج الأصفر وزن نصف درهم ومن النوشاذر وزن دانق واسحق الجميع ودفه بالدهن حتى يختلط واطلِ به الشعر فانه يسوِّد . فانتبهت وقد حفظت ذلك فعملته فاسودَّ شعري وتأخر الشيب عني دهراً طويلا .

***

وحدثني قال كنت في شبابي أتمتع بالجواري والمماليك فكان العزل يثقل عليَّ جداً فاشتريت جارية بدنانير كثيرة وكنت أخاف ان تحبل فيذهب ثمنها فنمت مشغول القلب بذلك فرأيت قائلاً يقول اذا أحببت ان لاتحمل المرأة فخذ نجماً واسحقه واعجنه بلبن فرس وجففه واجعله في كيمُخْت (١) وعلقه على المرأة فانها لاتحبل فقلت له ماسمعت هذا من طبيب . قال : ان أحببت ان تمتحن صحة ذاك فخذ هذا الدواء واجعله في قارورة ماء واجعلها على النار واوقد تحتها فانه لايغلي ولو مكث سنة قال وانتبهت وجربت ذلك فوجدته صحيحاً .

***

وحدثني ايضاً الحارثي قال حدثني ابي وكان يخدم في دار الموفق والمعتضد بعده . ان المعتضد أراد ان يشهد على نفسه العدول في كتاب صدره

(١) نوع من الجلد مأخوذ من كفل الفرس أو الحمار ومدبوغ دباغة خاصة :

(هذا ما شهد عليه العدول جميعاً ان امير المؤمنين عبد الله ابا العباس المعتضد بالله اشهدهم على نفسه في صحة منه وجواز امره) وعرضت النسخة على عبيد الله ابن سليمان فضرب عليها وقال هذا لا يحسن كتبه عن الخليفة اكتبوا (في سلامة من جسمه واصابة من رأيه) .

قال لي الحارثي استهديت من صديق لي نبيذاً فانفذ اليّ نبيذاً حامضاً فرددته عليه وكتبت اليه الجيران : أحق بهذا من الاخوان . ووصفلنا مرة نبيذاً طرياً شربه فقال هو دواء الفهم عمل من ثمر البلاذر اي هو لا يسكر لضعف فعله .

* * *

حدثنا ابو الفتح عبد الله بن محمد البرودي الكاتب قال حدثني بعض شيوخ الكتّاب قال(١) قال ابن الفرات لابي منصور بن جبير كاتبه ايما أكفا(٢) انا او علي بن عيسى فقال الوزير اكفا واضبط قال دعني من هذا قال تؤمنني قال قد امنتك قال علي بن عيسى اذا حضر بين يدي الخليفة فاراد ان يكتب سراً له لم يحتج الى غيره وكتب هو ومحا وختم وخرط(٣) بيده وانفذ العمل وانت لا بد لك من زنجي ولوطي صاحب دواته فيطيل(٤) الامر بظهور اثنين عليه قال فضلت علينا علياً؟ قلت لا والله ياسيدي ولكن يكون علي بن عيسى كاتبك .

* * *

(١) كتاب الوزراء لهلال ص٦٣ . (٢) الصواب أينا أكفى .
(٣) يعني : جعل في الخريطة . (٤) لعله : فيبطل . والعبارة عند هلال غير هذه .

حدثني عبد الله بن محمد بن داسه ان ابا القاسم البريدي ايام تقلده الامر بالبصرة شرب يوماً وعنده جماعة من ندمائه فافتقد قحف بلور كان معجباً به وطلبه الشرابية فلم يعرف له خبر فحلف انهم ان لم يحضروه ضربهم بالمقارع فقال له احدهم لا تعجل ولكن امر(١) باحضار كل من كان البارحة حاضراً فأمر باحضارهم فجلسوا وأنفذ الغلام الى منزل كل واحد منهم برسالة منه أنْ انفذوا القحف البلور الذي حملته اليكم البارحة فعاد احد الرسل من دار احدهم ومعه القحف فافتضح ذلك النديم وسقط محلّه . وهذا مضادٌّ لما حكي عن بعض الاكاسرة انه كان يشرب فوقعت عينه على غلام من غلمانه وقد سرق صينية ذهب مع مافيها وحملها فأمسك الملك وفاز بها الغلام فافتقدها الخزّان من الغد وجاؤا في طلبها فدعاهم وقال لاتتعبوا في طلبها فقد اخذها من لا يردها ورآه من لاينمّ عليه قال فأمسكوا فلما كان بعدسنة كان الملك يشرب فدخل ذلك الغلام عليه فرأى عليه منطقة ذهب حسنة فقال له الملك سراً أهذا من ذلك فقال نعم . فقال ان كان ما عندك من تلك الدنانير التي من الصينية قد نفد فعرفني لأدفع اليك أخرى .

* * *

وحدثني قال وحدثنا ابو الحسين احمد بن الحسن بن المثنى قال لما قدم حامد بن عباس الابلّة يريد الأهواز وهو وزير خرجت لتلقيه فرأيت له حراقة ملاحوها خصيان بيض وعلى سطحها شيخ يقرأ القرآن وهي مظللة مستترة .

(١) يعني : مُرْ .

فسألت عن ذلك فقالوا هذه حراقة الحرم لا يحسن ان يكون ملاحوها فحولة .

قال وقال لي ابوالحسين دخلت الى ابن الجصاص في داره ببغداد فرأيت خصياناً بيضاً مزينين .

* * *

قال حدثنا ابوالحسين قال رأيت لابي العيناء خادمين خصيين أسودين يقودانه فقيل له كيف اتخذت خصيين أسودين فقال حتى لايتهما بي ولا أتهم بهما .

* * *

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحدثني قال حدثنا ابوالحسين قال قدم ابوالعيناء البصرة في سنة نيف وثمانين بعد الغيبة الطويلة التي غاب عنها وخدمته للخلفاء والوزراء بسرمن رأى وكان ابوخليفة اذذاك عالم البصرة بالحديث والأخبار واللغة والنحو ومحمد بن جعفر بن بسام قاضيها وكان له محل من الادب واللغة والشعر كبير وكنت منقطعاً اليه ملازماً له أدرس عليه الفقه فكان اول من ائتمنني ورفع شأني . فقال لي ياابا الحسين قد قدم ابو العيناء وأحب ان أجمع بينه وبين ابي خليفة وننظر اثرهما(١) فقلت عليَّ ذلك فقال مضيت ولقيت ابا العيناء وعقدت عليه وعداً للحضور عند ابن بسام وعلى ابي خليفة فاجتمعا فأخذ ابو العيناء في الرواية عن الأصمعي ومشاهداته مع المتوكل وابن ابي دوءاد وفلان

(١) لعله : آثرهما أي أفضلها .

وفلان والشعراء قال فاسكت ابوخليفة فلم ينجر معه ولم يلحق به قال فاثنينا على ابي العيناء وقرظناه فقال يأيها القاضي انا لا أنسى ما كنت أحفظه منذ اربعين سنة .

* * *

وحدثنا ايضاً قال حدثني ابو عبيد محمد بن علي الاجُرّي قال كنت عند ابي العيناء لما قدم البصرة سنة نيف وثمانين بتسبيبات له على عمالها وكان معنا أصحاب الحديث فقيل له قد دخل اليك ابن المثنى فقام وقدّر ان ابا علي الحسن بن المثنى قصده فقال له بعض الحاضرين انه احمد بن الحسن بن المثنى فجلس قيل ان يقرب منه ابو الحسين ثم استدنا (كذا) اباالحسين واكرمه وسأله عن خبر ابيه ..... (١) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

... فقال لي لاأدري كنت يوماً في مجلس موسى بن اسحاق القاضي بالبصرة وقد اجتاز بنا وكان أصحاب الحديث حضوراً وكان موسى لايطلق(٢) ان يدخل مجلسه غلام أمرد ليسمع الحديث فحين رآه موسى صاح ياغلام أخرجه فقلنا له اعز الله القاضي هذا ابن اخيك ابي علي بن المثنى قال فرفعه وقدمه .

* * *

وحدثني قال حدثني ابوالحسين قال لمانشأتُ كتب ابوحازم القاضي الى ابي يقول انه قد بلغني انه قد نشأ لك فتى يطلب العلم ومن حاله وصفته .

(١) يظهر انأواخرالحكاية قدسقطت معأوائل حكايةأخرى . (٢) لعله لايطيق

(قال وقرظني) فانفذه الي لأقلده القضاء قال فقال لي ابي ما تقول فقلت فانفذني فانك هو ذا ترى مانحن فيه من الإضاقة فلعلي اتسع بالارزاق (١) فان الاعمال تفنى والصيانة تبقى ·

* * *

وحدثني قال حدثني بعض شيوخنا ان ابا العيناء قد قصد دار الواثق وهو الامير بالبصرة اذذاك فأجلس في الدهليز ساعة الى ان استؤذن له وجرى الحديث فقال رجل في حديث اقتضى ذلك ياباالعيناء انت صائم اليوم فقال اما في هذه الدار فنعم فكتب صاحب الخبر الى الواثق بذلك فأذن له في الحال واعتذر اليه من إجلاس البوابين له في الدهليز وانكر ذلك عليهم ·

* * *

قال واجتمع ابو العيناء وابو النضير (٢) يوماً في مجلس فاستطال عليه ابو العيناء فقال له ابو علي : نحن جميعاً ضريران فماهذا التطاول فقال ولاسواء انت من عميان العصا وانا من عميان المواكب (٣) .

(*بحث صلة)

---

(١) يظهر انه سقط ما معناه : فقال ابي لاتفعل ·

(٢) لعله : ابو علي البصير الذي اسمه الفضل بن جعفر ·

(٣) لعله : المراكب ·

آراء وأفكار

— (١) —

ملاحظات لغوية

نشر لي المجمع العلمي العربي في مجلته م ١١ ص ٦٩١ — ٦٩٧ فصلاً فيه ملاحظات على طائفة من الفضلاء الذين يكتبون فيها ، وبدا له فعلّق على موضعين منه تعليقاً وجيزاً ، ثم قفى عليه كبير كتاب العصر الأمير شكيب أرسلان فوافق على كل ما جاء فيه عدا كلمة واحدة استوقفته فاستفهمني عنها وتقاضاني عليها شاهداً يوثق به . وقد سمعت ما عندهما فأحبّ أن يسمعا ما عندي ، ورأيهما الموفق !

فأما ملاحظتا المجمع فأولاهما أن أديباً باحثاً ذهب في فصل كان يتحدث فيه عن الجاحظ الى أن العربَ كانوا يقولون في الفرس السابق « يلحق الغزال ويسبق الظلام » فأخذت عليه قوله يسبق الظلام ونفيتُ أن يكون لسبق الفرسِ الظلامَ مفهوم في الكلام وقلت إنما كانت العرب تقول يسبق الظليم وهو الذكر من النعام وعززت قولي ببينات من اللغة والشعر يغني الرجوع اليها عن إعادتها ، فعلق المجمع على شطر من قولي من غير أن يلتفت الى الشواهد التي أقمتها على تأييده ونازعني في إنكاري أن يكون لسبقِ الفرسِ الظلامَ مفهومٌ ما وقال إن لذلك وجهاً وجيهاً ووثق رأيه ببيت للنابغة الذبياني وهو قوله :

وإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ثم لم يزد عليه شيئاً

وأنا أتحاكم في هذا الذي أذهب اليه الى النص وسياقه والى المنطق والى العرب ثم علماء الأدب فيما فهموه من هذا البيت . فأما النصُّ فانه — كما قلت أول مرة — من كلام ابن شرف القيرواني في رسالته الانتقاد ، وهو يتحدث عن مخترعات امرئ القيس

في الشعر ، وهو قوله « وكانوا يقولون في الفرس يلحق الغزال والظليم حتى قال قيد الاوابد » أي الوحوش ، وقد طبعت هذه الرسالة ثلاث طبعات : في الأوليين منها « الظليم » وفي الثالثة « الظلام » ويظهر أن الكاتب اعتمد هذه الطبعة الثالثة فقال ما قال من غير أن يتروى في السياق والسباق ، فأية علاقة في النص بين الظلام وبين الغزال والأوابد ؟ لا شك أن التنافر في هذا من الشدة بحيث لا يمكن أن يجمع بينها المعنى الذى قصد اليه ابن شرف كيفما حاول التمحل أن يلائم أو يوائم أو يلاحم ، انما يستقيم المعنى بالظليم ... وبالظليم وحده ليس غير . وللزيادة في توكيد أن هذا اللفظ هو الثابت نذكر أن من تعرض له ايضاً ابن رشيق في قراضة الذهب وبعض شراح ديوان المتنبي عند قوله « أجل الظليم وربقة السرحان » وقوله « وعقلة الظبي وحتف التتفُل » فقد اشاروا جميعاً الى أن المتنبي قد احتذى امرأ القيس في « قيد الاوابد » الذي اشار اليه النص الصحيح المتقدم من كلام ابن شرف ، غير أن المتنبي أفى بالمعنى في غير اللفظ وزاد زيادة جيدة فقال « أجل الظليم » وقال « وربقة السرحان » الخ وفي هذه دلالة قاطعة على صحة ما ذهبنا الى تصحيحه وعلى أن العرب من عهد امرىء القيس الى المتنبي والى ما لا ادري انما كانت تذكر في تفضيل سبق الجياد الحيوان والوحش من غزال وظليم وتنفل لا الظلام وما اليه . هذا النص ومؤبداته وأما المنطق فهو يرفض كل الرفض ماذهب اليه التعليق من «وجاهة» معنى سبق الفرس للظلام ، فانه من الوهم الذي لا يتحقق له وجود في الخارج إذ كيف يسابق الفرس الظلام وفي أي فلك يدورمعه ويجاريه وفي أي مضمار يجول ويباريه؟ ان هذا الذي يريده التعليق إن هو الا إحالة [١] فاسدة لم يتعلق بها حتى المغرقون في المبالغات السخيفة[١] من الشعراء المولدين .

واما بيت النابغة الذبياني فهو في واد غيرهذا الوادي وهو بعيد جداً ان يكون مؤيداً لهذا المعنى الذي يذهب اليه التعليق ، وندع القول فيه الى ما فهمه منه فصحاء العرب ثم الرواة وأئمة الأدب لئلا نترك مجالاً للاعتراض والرد تارة أخرى :

عن جرير بن يزيد بن جرير بن عبدالله البجلي قال — كنا عند الجنيد بن عبدالرحمن بخراسان وعنده بنو مرة وجلساؤه فتذاكروا شعر النابغة حتى أنشدوا قوله « فانك كالليل

(١) [المجمع] ......

الذي هو مدركي ... البيت » فقال شيخ من بني مرة — وما الذي رأى (يعني النابغة) في النعمان حتى يقول مثل هذا ؟ وهل كان النعمان الا على منظرة من مناظر الحيرة ؟ وقالت ذلك القيسية ايضاً فأكثرت ، فنظر الى الجنيد فقال — ياأبا خالد ! لا يهولنك قول هؤلاء الاعاريب واقسم بالله لو عاينوا من النعمان ماعاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ولكنهم قالوا ماتسمع وهم آمنون ». وانت ترى من إنكار الشيخ المري على النابغة قوله أنه انما فهم منه المبالغة في دعوى سعة[1] ملك النعمان على حين أنه لم يكن الا على منظرة من مناظر الحيرة فانكر عليه دعواه الكاذبة كما أنكرتها القيسية ايضاً .

وقال العلامة الأديب عبد الرحيم العباسي في معاهد التنصيص يشرح البيت :

المنتأى : اسم موضوع من انتأى عنه أي بعد ، وشبهه بالليل لأنه وصفه في حال سخطه وحوله ، والمعنى : انه لا يفوت الممدوح وان أبعد في الهرب وصار الى اقصى الارض لسعة ملكه وطول يده ولأن له في جميع الآفاق مطيعاً لأمره يرد الهارب اليه .

ثم أورد اعتراضاً للاصمعي على النابغة في تشبيه الادراك بالليل بأن الليل والنهار قد تساويا فيما يدركانه وإنما كان سبيله ان يأتي بما لا قسيم له حتى يأتي بمعنى منفرد . وقال : فلو قال قائل — ان قول الثمري في ذلك أحسن منه — لوجد مساغاً الى ذلك حيث يقول :

فلو كنت كالعنقاء أو كسموّها لخلتك الا أن تصد تراني

ثم أورد العباسي في معنى بيت النابغة أشباهاً كثيرة في وصف سبق الفرس من شعر ابن جبلة وسلم الخاسر والبحتري وابن هانئ الاندلسي وأبي العرب الصقلي وكلها يدل على غير ما ذهب اليه صاحب التعليق في تفسير بيت النابغة ! !

وثانية الملاحظتين أنني صححت كتابة (عُرى) جمع (عروة) بالألف (عُرا) بناء على قاعدة البصريين في إرجاع الكلمات الى أصولها ، فخالفني المجمع وقال « بل الاصح أن تكتب بالواو (هكذا في الطبع وهو يريد بالياء) بناء على قاعدة الكوفيين كما كتبوا الضحى والخطى » انتهى . وأنا لا أعلم ما الذي يجعل قاعدة الكوفيين أرجح في نظر المجمع على حين أنها قاعدة شاذة عن المقاييس العلمية ليس لها أصل معقول تحور اليه ! وحياة اللغة إنما تستمر باصطناع المقاييس المطردة التي جرى عليها البصريون ومن نحا نحوهم في

(١) [المجمع] أو في دعوى سرعة اللحاق والإدراك .

تأصيل الأصول القياسية من فلاسفة اللغة وأهل البيان ، وشذوذ من المجمع أن يرجع الشاذ على المقيس من غير مرجح لديه ويرجع بالأصول اللغوية الى طور السذاجة قبل أن يتناولها الاستقراء العلمي ويحررها البحث الفني . على أنني كنت أحب للمجمع ، وهو القائم على تهذيب اللغة في هذا العصر العتيد أن يتجاوز حتى قاعدة البصريين التي هي أنفى للغلط الكتابي الذي يضج منه العالمون والمتعلمون من قاعدة الكوفيين الجامدة البليدة الى أفق أوسع ومجال أرحب فيدعو الى كتابة الباب « كاه » بالألف حملاً للخط على اللفظ سواء كانت الألف ثالثة أوفوقها ولومنقلبة عن ياء في علم أوغيره ، لتريح وتستريح من الشكاوي المريرة من صعوبة قواعد الكتابة العربية التي لايسلم أكثرها من تنطع وبلادة وجمود . والمجمع لايجهل أن هذا الذي أريده قد مشى عليه جماعة من النحاة منذ عهد عهيد ووجهوه بأنه القياس وبأنه أنفى للغلط ، وهو تعليل صحيح يدل على سمو في الفكرة ودقة في النظرة فأنا أدعو الجماعة العاملين على إحياء العربية الى مشاركتي في هذا الرأي ونشره بين الناس في المدارس وفي الصحف فان في ذلك تخفيفاً كبيراً من عبء اللغة على المتعلمين وخيراً كثيراً .

وأما ملاحظة العلامة الأمير شكيب أرسلان (المجمع م ٢ : ص ٢٤٩) فعلى كلمة جنح بمعنى جناح في مثل وهو قولهم « لا تركب جنح نعامة » كنت أوردته شاهداً على ان النعام ذكره وأنثاه هو الموصوف عند العرب بالخفة وسرعة الجري وشدة الحذر . فالأمير يعترض على استعمال الجنح ويرى أنه غير الجناح ويقول « لا أزال أحفظ أن اليازجي الكبير في مقاماته استعمل الجنح بمعنى الجناح مضافاً الى الطائر فأخذ عليه في ذلك أحمد فارس صاحب الجوائب » ثم هو يتقاضاني أن أدلي له بنص أو شاهد يوثق به على ورود جنح بمعنى جناح مضافاً الى الطائر . وجوابي له أنني نقلت هذا المثل بهذا اللفظ من كتاب حياة الحيوان[1] مع علمي بأن الوارد في القاموس المحيط وفي كتب الأمثال انما هو جناح ، وعلة ذلك أنني أعتقد أنه لافرق بين الجنح والجناح بدلالة مفاهيم عبارات اللغويين وجنوح الأدباء وعامة الناس في مصر والشام والعراق الى استعمال ذلك بمعنى هذا . فأما عبارات أهل اللغة فقد جاءت متحدة غالباً في الجنح والجناح فمن معانيهما معاً : الكَنَف ، والناحية ، والجانب ، فاذا أردنا جانبي الطير أو الانسان أو الجيش فلماذا يصح أن يقال جناحاه ولا يصح[2] أن

(١) طبعة مصرية . (٢) [المجمع] لان اللغة نقل .

يقال جنحاه على حين أنهما يدلان على شيء واحد دلالة واحدة وهي « الجانب » ؟ فان قيل إن الجنـاح بمعنى الجانب مجاز كما في قوله تعالى « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » . قلنا : وكذلك قول العرب « أناخ فلان عند جنح سبيل » أي جانبه ، و « بات بجنح القوم » أي كنفهم . ولا بد لكل مجاز من حقيقة ينقل عنها ، فاذا اعتبرنا حقيقة الأول هي جناح الطائر فما عسى أن تكون حقيقة الثاني ؟ لاريب أن اتحـاد اللفظين في معانيها المجازية دليل على اتحادهما في حقيقتها ايضاً غير أن حقيقة الجنح أميتت لسبب من الأسباب وحقيقة الجناح استقرت في الاستعمال . وقد قالت العرب في كلمات مثلها « نجح ونجاح ، وصبح وصباح ، ومسي ومساء » وغيرها ، فلماذا لا يكون الجنح كالجناح على هذا القياس [1] ؟ ولم كل هذا التحجير ومعاجم اللغة لم تدون كل مفردات اللغة ؟

واذا تحللنا من قيود الجمود على ورد ولم يرد استوقفنا إطباق أكثر أهل البلاد العربية على استعمال هذين اللفظين بمعنى واحد في حقيقة واحدة ، أفنضرب بذلك كله عرض الحائط ولا نعيره أقل اهتمام ؟ هذا اليازجي [2] الكبير قد رأى جواز استعمال هـذا اللفظ بمعنى ذاك فاستعمله ، وتلك الطبعة المصرية لحياة الحيوان تستعمله كذلك ، وهذه أبيات من الشعر العراقي [3] قرأتها في كتاب العقد المفصل ج ١ ص ١٧٧ و ج ٢ ص ٣٤ وهي صريحة في استعمال الجنح بمعنى الجناح :

وهو للمؤمنين يخفض جنحاً دون أدنى محله الجوزاء

* **

أهون بأحداث الزمان وان تكن لعظيم أبطال الزمان تبير
قد فاجأته في الرضاع وقلبها فزعاً بجنح الرعب منه يطير

وقد استرأينا في هذا فاضلين كبيرين من أعيان العصر في الشعر وفي النثر فوافقاني على ما ذهبت اليه في غير تلكؤ ، وبعد هذا قد ذهب بهم العلامة الأمير الحأني استشهدت بقول الشاعر الحامي :

كأن بصحراء المربط نعامةً تبادرها جنح الظلام نعائم

---

(١) [المجمع] لأنه لا قياس في اللغة . (٢) [المجمع] !!!

لإثبات صحة جنح بمعنى جناح ... وليس كذلك فأنا انما استشهدت به وبماقبله وبعده لاثبات صفة سرعة الجري للنعام ذكره وانثاه ليس غير ، وأما موضوع الجنح والجناح فلم أكن بسبيله وإنما أثاره الأمير . عليه مني تحية طيبة مباركة .

بغداد : محمد بهجة الأثري

من أعضاء المجمع العلمي العربي

(المجمع) لعل القارئ بعد ان استطال كلام الفاضل الأثري يريد ان يعرف النتيجة الصحيحة من هذه الابحاث الثلاثة فنقول :

(١) ان العرب كما يصفون الفرس بأنه يسبق الظليم يصفونه ايضاً بأنه يسبق الظلام بدليل ما نقل عن الجاحظ وبدليل قول النابغة : (فانك كالليل الذي هو مدركي) فهو يقول للنعمان انك تدركني وتبطش بي أنى فررت كما أن من رأى اول الليل مقبلاً من جهة الشرق تخيل اليه انه اذا فرّ منه ينجو فلاجرم انه لاينجو بالفرار بل ان ظلام الليل يدركه انى سار .

(٢) الكوفيون من علماء اللغة اقوالهم مرجوحة سوى مسائل معروفة رجحت فيها آراؤهم من ذلك كتابة (عرى وضحى وخطى) بالياء وان كان أصلها واواً وكثيراً ما كانت الفصاحة في استعمال الشاذ — كفعل (استحوذ) مثلاً فان الفصيح فيه ان يقال كما قال تعالى : (استحوذ عليهم الشيطان) وان كان اصل القاعدة (استحاذ) .

(٣) ما قاله الامير شكيب من ان كلمة (جنح) لم ترد بمعنى جنح الطائر في فصيح كلام العرب ولا في معاجم اللغة المعتبرة — هو الصحيح ولا يجوز جعل (طبعات) الكتب وشعر المتأخرين وإطباق الرأي العام — براهين على صحة دعوى لغوية ما لم يؤيدها النقل الصحيح من أئمة اللغة المثبتة اقوالهم في المعاجم المشهورة .

(٤) يبقى مجمعنا العلمي متمسكاً بماقرره الاقدمون من قواعد اللغة العربية ويجد من وفاء القدم ان ينبه الى ما وقع من الخطإ في تلك القواعد حتى اذا تيسر له تنفيذ خططه في اصلاح اللغة وتهذيب قواعدها واعلن ذلك على الملأ كان له اذ ذاك ان يغضي عن الاغلاط معاً خالفت آراء المتقدمين ما دامت موافقة لخططه وطرائقه .

نموذج من الكلمات الصليبية

قلت في مقالتي (الكلمات الايوبية) المنشورة في مجلد هذه السنة ص ١٥١ ان النويري ذكر في كتابه (نهاية الأرب) ان الشاميين اقتبسوا من الأفرنج كلمة (مفصولة) ويريدون بها الأرض التي يعطيها الأمير صاحب الاقطاع الى بعض اتباعه مقابل شيء معلوم يؤديه في السنة وان مفصولة مشتقة من الفصل . ثم نقلنا عن بعض فضلاء مصر المعاصرين ان الفصل معربة عن كلمة Vassal الافرنسية بالمعنى المذكور ثم قلت ينبغي لنا ان نتتبع هذه الكلمات الصليبية ويوشك ان نعثر منها على طائفة صالحة . وقد اتفق لنا ان كنا نصحح كتاب (الدارس في المدارس) مع بعض اخواننا من اساتذة المجمع فمر معنا في ترجمة السلطان صلاح الدين قوله بعدد أعمال السلطان في بيت المقدس (وعمل للشافعية المدرسة الصلاحية وكان موضع كنيسة على جسد حنة اي على قبر حنة ام مريم عليها السلام اه) فرأينا العبارة ملقة من جهتين (١) من جهة قوله ان السلطان بنى المدرسة على جسد حنة ولم تجر العادة بأن يقال هذا (٢) ان النعيمي مؤلف الدارس فسر الجسد بالقبر مذ قال (اي على قبر حنة) وهذا غير سائغ . فراجعنا تراجم صلاح الدين فاذا صاحب الفتح القسي وصاحب الروضتين يقولان ان السلطان صلاح الدين اراد ان يبني مدرسة للشافعية (فعين لها الكنيسة المعروفة بصند حنة) فلم يقولا (جسد) وانما قالا (صند) فاحدى الكلمتين محرفة عن الاخرى واحداهما وهي (جسد) لها معنى في اللغة والاخرى وهي (صند) لامعنى لها اصلاً ومع هذا رأينا أجهل الكلمتين وانكرهما في العربية هي المقصودة والمرادة هنا : وذلك ان كلمة (صند) كلمة صليبية اخذها عرب سوريا عن الافرنج الصليبيين . وهؤلاء يقدسون السيدة حنة ام مريم عليها السلام فلا يذكرون اسمها مجرداً عن لقب التكريم بل هم كلما ذكروها قالوا (سنت حنة) (سنت حنة) ومعنى سنت (Sainte) في اللغة الافرنسية القديسة فكان رجال السياسة في العهد الصليبي يسمعون كلمة (سنت) بمعنى القديسة منهم . ومن هؤلاء الرجال (العماد الكاتب) اكبر رجال صلاح الدين وكتابه ومؤرخي دولته وهو مؤلف كتاب (الفتح القسي في الفتح القدسي) وقد وصف لنا فيه كيف بنى صلاح الدين بيت المقدس . فلا غرو اذا قلنا انه كان يسمع الافرنج يقولون (سنت حنة) ولما اراد ان يذكر لنا ان صلاح الدين

بنى المدرسة الصلاحية قال انه بناها على (سنت حنة) يعني القديسة وانظر لماذا لم يقل القديسة بدل (سنت) ؟ ثم ان العرب يتلاعبون بالألفاظ الفرنجية ويجذبونها الى مناحي لغتهم واوزان كلماتهم فعربوا كلمة (سنت) الى (صند) بقلب السين صاداً والتاء دالاً . وهذا الابدال كثير في الكلمات العريقة في العروبة فما بالك في الكلمات الدخيلة الاعجمية . وا لحاصل ان العماد الكاتب قال (صند حنة) ونقل العماد عن مؤلف (الروضتين) وهو قريب العهد بالزمن الصليبي فقال ان السلطان بنى المدرسة على (صندحنة) وبعد نحو ثلاثمائة سنة ألف الشيخ النعيمي (المتوفى سنة ٩٢٧ هـ) كتابه (الدارس) ولخص كلام المؤرخين المذكورين وقال ان السلطان عمل للشافعية المدرسة الصلاحية وكانت موضعاً للكنيسة على (صند حنة) وقد ظن النعيمي ان معنى كلمة (صند) الافرنسية (قبر) ففسرها بقوله (اي على قبر حنة) ثم تعاور النساخ كتاب الدارس ولم يفهموا كلمة (صند) فرجحوا أن تكون محرفة عن (جسد) وهكذا كتبوها (جسد حنة) فكلمة (صند) كلمة صليبية بمعنى ان العماد الكاتب وغيره من عرب الشام في ذلك العهد اقتبسوا في كلامهم كلمة (سنت) بعد ان عرّبوها بصند . بل وجد في الكتابات العربية الباقية من آثار العرب في جزيرة صقلية (سيسليا) ما يفيد انهم كانوا يستعملون كلمة صند بمعنى القديسة ولكن يكتبونها هكذا (صنت) بالتاء لا بالدال . والاندلسيون يلفظونها بالشين فيسمون مدنهم (شنت مرية) (شنت ياقب) الخ وقال ياقوت اظنها بمعنى البلدة اوالناحية لانها تضاف الى عدة اسماء . وليس كما قال .

ويمكن ان نضم الى كلمة (صند) الصليبية كلمة أخرى مثلها وهي كلمة (كُند) بضم الكاف وسكون النون وهي لقب شرف بمعنى أمير فان كتاب العرب منذ العهد الصليبي ادخلوها الى لغتنا العربية اقتباساً من لغة الصليبيين ففي ص ١١٠ من كتاب نهاية الأرب للنويري ذكر ان الملك المنصور قلاوون كتب (او كتب كاتبه عنه) الى ملك اليمن كتاباً وصف له فيه بعض وقائع الحروب الصليبية وقد جاء في كتابه قوله (والرغبة الى الله ألا تشق لدينا الا اكباد أكناد . ولا تجز غير شعور ملوك التتر الخ) فقوله (أكناد) جمع (كُند) وكند معرب كونت (Conte) الافرنسية ومعناها أمير (راجع مجلة المجمع ص ٨٦ من هذه السنة) وتاء (كنت) او (كونت) قلبت دالا في العربية كما قلبت تاء

(سنت) دالاً ايضاً مذ قالوا (صند) . وقلب التاء دالاً لقرب مخرجيهما أمر مستفيض في كلمات اللغة مثل (أعتدت متكأ وأعددت) و (سبت شعره وسبده) و (مرت الجلد ومرده) و (مد الحبل ومته) الخ . أما قلب السين صاداً على نمط ما وقع في (سنت وصند) فكثير ايضاً في كتب اللغة حتى كاد بعضهم يزعم أن كل سين في كلمات اللغة العربية يجوز قلبها صاداً وبالعكس . ولكنهم لم يسلموا هذا للقائل . وانما هم قالوا بكثرته فقط .

المغربي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »
- ٥ -

ذيل تاريخ بغداد(١) : تصنيف محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣ قال صاحب كشف الظنون : وهو ذيل عظيم على تاريخ بغداد جمع فيه فاوعى يقال انه يتم في ثلاثين مجلداً ورتبه كالطبقات . الموجود منه المجلد العاشر فقط في ٤٦٠ صفحة كبيرة أوله : ترجمة عبد المغيث بن زهير المتوفى سنة ٥٨٣ وينتهي الى ترجمة علي بن الحسين الاسكاف [رقم ٤٢ التاريخ]

ذيل طبقات الحنابلة : تأليف زين الدين عبد الرحمن بن احمد المعروف بابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ وهو ذيل على طبقات الحنابلة لابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الحنبلي المعروف بابن الفراء المتوفى سنة ٥١٦ وانتهى فيه الى سنة ٥١٢ وهذا الذيل وصل فيه الى سنة ٧٥٠ الموجود منه نسختان [رقم ٦٠ و ٦١ التاريخ] .

سيرة احمد بن طولون : تأليف ابي احمد عبد الله المدني البلوي وقال صاحب كشف الظنون انها لأحمد بن يوسف بن الداية المتوفى سنة ٣٣٤ . أولها الحمد لله خالق السموات والارض وما بينهما من الآيات على حكمته الشاهدات على قدرته الخ نسخة في ٢٥٠ صفحة متوسطة كتبت بخط قديم يرجع الى القرن الرابع [رقم ٢٤٢ التاريخ] .

(١) جاء في كشف الظنون ما نصه : قيل أول من صنف لبغداد تاريخاً احمد بن طاهر البغدادي وتلاه ابو بكر احمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ فكتب على طريقة المحدثين جمع فيه رجالها ومن ورد بها وضم اليه فوائد جمة فصار كتاباً عظيم الحجم والنفع اه . وقد طبع التاريخ للمرة الأولى بنفقة مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد وصدر منه الى الآن ١٣ مجلداً .

عيون التواريخ — تأليف صلاح الدين ابي عبدالله محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ رتبه على السنين وانتهى فيه الى سنة ٧٦٠ ابتدأه بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم سيرة الخلفاء الراشدين وجمهور الصحابة والتابعين وتراجم رجال الحديث النبوي ومراتب رواته وطبقاتهم وتراجم الصالحين والزهاد والأعيان والشجعان والكرماء والأدباء والشعراء والمغنين وغيرهم قسمه الى حوادث ووفيات . الموجود منه سبعة مجلدات من نسخ مختلفة .

(الاول) يشتمل على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الى وفاته في ٣٢٠ صفحة متوسطة القطع كتب سنة ٨٨٨ بخط نسخ [رقم ٤٣ التاريخ] .

(الثالث) فيه تاريخ من سنة ١٣٢ الى سنة ٢١٧ في ٤٢٠ صفحة متوسطة بخط نسخ [رقم ٤٤] .

(الخامس) فيه تاريخ من سنة ١٢١ الى سنة ١٤٣ في ٢٠٠ صفحة صغيرة [رقم ٤٥]

(الخامس) (من نسخة اقدم من المتقدمة) فيه تاريخ من سنة ٧١ الى سنة ١٠٨ في ٢٠٠ صفحة كبيرة [رقم ٤٦] .

(الثاني عشر) فيه تاريخ من سنة ٣١٠ الى سنة ٣٩٠ في ٦٠٠ صفحة متوسطة [رقم ٤٨] .

حسني الكسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطبوعات حديثة

الضياء

« مجلة تسعى في ترقية الآداب العربية »

« في لكنؤ (الهند) »

كما ذاق كأس يأس مرير ... جاء كأس من الرجا معسول

وهكذا شأننا في الخوف على لغتنا العربية والحذر من ان تضعف وتتخاذل امام زحف اللغات الاجنبية عليها وزمزمة دمائنهم حواليها فليس العجب ان تنهض العربية في تونس والجزائر ومراكش وانما العجب ان يسطع ضياؤها ويخفق لواؤها في بلاد الاعاجم : كانتشارها في امريكا بواسطة ابناء يعرب وغسان من اخواننا المهاجرين وانتشارها في جزائر جاوه بواسطة الحضارمة وكنهوضها اليوم في بلاد الهند بواسطة الغيورين من أساتذة معاهدها العلمية والدينية : فقد انشأ هؤلاء الاساتذة مجلة علمية أدبية تعليمية اجتماعية ولغة الانشاء فيها هي لغة مضر بما عهدناه من فصاحتها وناصع عروبتها (الاقليلاً) . وان القائم بانشاء تلك المجلة الاستاذ (مسعود عالم الندوي تحت إشراف الاستاذين سليمان الندوي رئيس دار المصنفين وتقي الدين الهلالي المغربي المراكشي) . وقولهم (الندوي) . نسبة الى جمعيتهم المشهورة في لكنؤ المسماة (ندوة العلماء) . وقد جاء مجمعنا العلمي ثلاثة الاجزاء الأولى من تلك المجلة فراقنا منها أولاً (الإخلاص) الذي لمحناه يترقرق خلال سطور ما يكتب فيها . ثانياً (فصاحة العبارة) العربية التي تجلى في ما يكتبه العلماء الهنود فيها . ثالثاً (المقدرة الصحافية) في جمع المواد وتبويبها وحسن إيرادها وجودة تنسيقها . ففي الجزء الأول مقالان عن النهضة العلمية في الهند من الوجهتين الدينية والدنيوية وعلاقة ذلك باللغة العربية التي ينظر اليها مسلمو الهند نظر تقديس وتعظيم . ومقال في فلسفة الأمثال . وآخر مناقشة مع

الأب (لويس شيخو) في ما كتبه عن (شعراء النصرانية) ومقال في شاعر الهند (محمد إقبال) ويظهر ان مسلمي الهند عاتبون علينا في التنويه بطاغور الهندوسي والاعجاب بشعره وشاعريته وإعراضنا عن ذكر شاعرهم (محمد إقبال) وترجمة اشعاره والتحدث بأخباره . ومن ثم عزموا في مجلتهم ان يترجموا من قصائده الى العربية الفصحى ويرووا لنا الفينة بعد الفينة تحفاً من آثار قلمه وبدائع حكمه . ولم يقتصروا على تقديم شاعرهم العظيم الينا بل هم ينوهون ايضاً بشاعرتهم الهندية العظيمة (سروجني نائيدو) وقد اخبرونا ان شاعرتهم هذه قالت في شاعرهم (إقبال) في الحفلة التي أقيمت لتكريمه في لندره — انه (ملك شعراء آسيا) .

ونشروا في الجزء الثاني : مقالاً ممتعاً عن (كيفية انتشار الاسلام في الهند) و (من هو الواضع لعلم الجبر والمقابلة) و (تأثير الاسلام في الشعر العربي) (ومناهج التعليم في اللغة العربية) وفي الجزء الثالث : (نشأة اللغات) و (شغف ابي العلاء المعري بالمتنبي) و (المدرسة البادرائية بدمشق) و (احصاء المسلمين في العالم) وغير ذلك من قطع النثر والنظم القديم والحديث الهندي والعربي ويمكن ان يقال ان الهدف الذي ترمي اليه المجلة هو (١) احياء اللغة العربية بين مسلمي الهند لتقوى على مهاجمة اللغة الانكليزية . (٢) التقريب بين الأدبين العربي والهندي وتعريف أدباء الفريقين بعضهما ببعض . وهذان الغرضان لا يتمان مالم يعن بتعليم اللغة العربية في البلاد الهندية وهو امر يهتم به علماء الهند كل الاهتمام ويخشون من تقصيرهم فيه أن يضعف الاسلام وتقوى الشعوبية وقد أعرب عما قلناه كبير علماء الاصلاح في الهند (السيد سليمان الندوي) في المقدمة التي افتتح بها المجلة وكان فيها بين الرجاء واليأس : فهو يرجو نهوض اللغة العربية وآدابها بسبب كثرة مدارسها في الهند ثم يعود فيظهر القنوط مذ يرى التواء طرق تعليم تلك اللغة ويحض قومه على العناية باصلاح البرامج وحسن اختيار الاساتذة والمعلمين .

ونختم تقريظنا هذا باقتباس بعض ما قاله عن المدارس التي تعلم اللغة العربية في البلاد الهندية قال : «هذه بلادنا الهند فيها نحو ثمانين مليوناً من المسلمين وفيها نحو مليون من يفهم لغة القرآن ويعرفها وان لم تكن لهم قدرة على التكلم بها . وتقدر مدارسهم العربية بالف من صغارها وكبارها وطلبة العربية فيها نحو مئة الف او يزيدون : فان صقعاً واحداً من اصقاع الهند ويعرف ببلاد البنغال يضم بين جناحيه ستين الفاً من طلبة العلوم العربية وتلامذتها وتجد في

مدينة واحدة وهي دهلي عاصمة الهند نحو مئة مدرسة عربية بين صغيرة وكبيرة . أثراها (مدرسة جامع فتحپوري) واعمرها المدرسة الامينية . وتاتي في مدرسة واحدة وهي المدرسة العالية في (ديوبند) أكثر من ٥٠٠ طالب تدر على اكثرهم المدرسة رواتب شهرية تفي بمأكلهم وملابسهم ودع دار علومنا التي قامت بتأسيسها (ندوة العلماء) بلكنؤ فهي احدثها عمراً . ولكل منها من المزايا مالايخفى على ذي عينين » ثم قال ان هؤلاء الطلاب على كثرتهم بكم عن التكلم باللغة العربية وعاجزون عن الكتابة والخطابة فيها اللهم الا ابحاث سمجة في الفقه والمنطق وأول من تنبه لترقية اللغة العربية مدرسة (دار العلوم) التي اسستها ندوة العلماء فنظمت التعليم العربي (وألفت معجماً شرحت فيه الكلمات الدخيلة والمعربة التي لا غنى عنها في فهم الجرائد والمجلات العربية) . وآثرت لتعليم الآداب العربية أساتذة من العرب مثل الاستاذ (الشيخ تقي الدين الهلالي المغربي المراكشي) . والزمت طلاب العربية بالكتابة والانشاء باللغة العربية . وقد انتقل هذا الاهتمام بالعربيـة الى المدارس الأخرى كمدارس بنجاب والمدارس الانكليزية الرسمية وجوامع لاهور وإله آباد ولكنؤ وپتنه وكلكتة والكلية الشرقية بلاهور ومدرسة شمس الهدى (پتنه) والمدرسة العالية (كلكتا) وخاصة (جامعة دهاكه) الانكليزية . وقد ارادت جامعتنا الاسلامية في (عليكره) ان تقتفي أثر جامعة (دهاكه) في العناية باللغة العربية فعسى ان تثمر مساعيها . واما (الجامعة العثمانية) بحيدر آباد فهي اكثر الجوامع إنفاقاً على فرعها العربي وعناية بمستقبل خريجيه . ثم ان الكاتب الفاضل بعد هذا الرجاء المعسول عاد فعقبه بأسف ويأس : ذلك ان اللغة الانكليزية وآدابها وصحفها تكاد تخنق العربية وتأتي على المساعي التي تبذل في تعميمها قال (فذلك ما دعانا الى اصدار مجلة عربية دعوناها الضياء) ثم دعا لها بالتوفيق ورجا من فضلاء بلاد العرب ان يمدوها بكل ما يحييها ويساعد على ثباتها .

ومجمعنا العلمي يرحب بهذه المجلة ويباهي بجهود القائمين بها وبهذه النهضة المباركة في البلاد الهندية .

المغربي

مجلة الابحاث الشرقية

الجلد الاول ١٩٣١

Bulletin d'Etudes Orientales, Tome 1 1931

هي مجلة يصدرها باللغة الافرنسية المعهد الافرنسي في دمشق عوضاً عن مجلته السابقة .

Mélanges de la Section Scientifique des Arabisans de l'Institut d'Archéologie et d'Art Musulmans de Damas

وابحاثها كالسابقة : ابحاث علمية شرقية متنوعة يحررها اعضاء هذا المعهد بمؤازرة نخبة من علماء المشرقيات فنرحب بالمجلة الجديدة ونرجو لها دوام التوفيق .

جعفر الحسني

هدايا كتب

مر في ص (٤٤٢) من مجلد هذه السنة أن قد انشئت في (حيدر آباد الدكن) من بلاد الهند لجنة باسم (مجلس احياء المعارف النعمانية) تعنى بنشر مصنفات أئمة المذهب الحنفي القديمة مما لم يطبع الى اليوم وقد طبع بعض تلك الكتب واهدت اللجنة منها الى مجمعنا كتابين :

(١) شرح الصدر الشهيد على كتاب النفقات للخصاف وهو الذي جمع فيه مسائل النفقة وجعلها على اقسام منها نفقة الوالد على ولده ونفقة الام على ولدها ونفقة الولد على الوالد ونفقة ذوي الأرحام الخ وقد ألحق الكتاب بذيل ذكر فيه ترجمة كل من الامام الخصاف المتوفى سنة ٢٦١ ﻫ وشارح كتابه الصدر الشهيد (المتوفى سنة ٥٣٦ ﻫ) والكتاب لطيف الحجم في نحو ٥٦ صفحة وقد طبع في مطبعة (دكن لاربوت) في حيدر آباد .

(٢) كتاب العالم والمتعلم للإمام ابي حنيفة النعمان قال صاحب (كشف الظنون) يشتمل هذا الكتاب على العقائد والنصائح بطريق السوآل عن المتعلم والجواب عن العالم يقال رواه (ابو مقاتل) عن الامام الأعظم رضي الله عنه اه .

وأوله (ان الحمد لله حياً لا يموت وحمداً لا ينقطع الخ وهو في نحو ٣٢ صفحة وقد طبع في المطبعة الحيدرية في (حيدر آباد) .

وتوجد نسخة مخطوطة من (كتاب العالم والمتعلم) في دار الكتب الظاهرية كتبت حديثاً ، لكن في اولها مقدمة ليست في النسخة المطبوعة المهداة الينا من لجنة الهند وقد رأينا من تمام الفائدة نشر هذه المقدمة وهذا نصها :

« قال الشيخ الامام العالم الزاهد الورع القدوة العلامة رئيس الاصحاب مجد الدين عبد الرحمن بن عمران بن احمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن ابي جرادة قال :

أخبرنا الشيخ الامام نجم الدين ابو القاسم اسماعيل بن عبد السلام بن عبد الرحمن اللمغاني مدرس مشهد ابي حنيفة رحمة الله عليه بقراءتي عليه في مشهد ابي حنيفة بالجانب الشرقي من بغداد جبرها الله وذلك يوم السبت رابع صفر سنة ثلاث واربعين وستمائة قال أخبرنا صبح الدين ابو الحسن بن المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدي بسماعه من ابي العلا حامد بن ادريس جماعة من ابي المعين ميمون بن محمد المكحولي النسفي بسماعه من ابي طاهر المهدي محمد الحسيني بسماعه من ابي يعقوب بن منصور السياري بسماعه من ابي الفضل أحمد بن علي بن عمر السليماني بسماعه من ابي سعيد حاتم بن عقيل الجوهري بسماعه من الفتح حنيفة ابي علوان ومحمد ابن يزيد بسماعها من الحسن بن صالح عن مقاتل عن الامام ابي بن نعمان بن ثابت رحمة الله عليه قال الحمد لله حياً لا يموت الخ .

المغربي

العلوم الطبيعية

عند إخوان الصفا

إخوان الصفاء هي جمعية علمية تأسست في البصرة في القرن العاشر الميلادي ، ولم يعلم على التحقيق الزمن الذي عاشت فيه ولا اسماء الاشخاص الذين تألفت منهم . لأن الذين كانوا ينتمون الى هذه الجمعية يرمون الى معرفة الحقيقة على حسب الطاقة البشرية وان كتمان اعضاء هذه الجمعية ساق كثيرين الى الزعم أن لهم غايات سياسية . ولكن اذا تصفحنا رسائلهم القيمة التي نشروها مع كتم اسمائهم تيقنا ان الهدف الذي كانوا يرمون اليه انما هو إحصاء العلوم في ذلك الزمن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وان اول الباحثين في هذه الجمعية هو العلامة الالماني المستشرق (ديتريسي) الذي أبان فضل هذا المجمع العلمي القديم وترجم منتخباً من كتبه ولا سيما ما يتعلق بالعلوم الطبيعية . وهو اول من نشر عن جمعية إخوان الصفا ايضاً في اللغة العربية . وفي مقدمة الكتاب الذي طبع في القاهرة عام ١٩٢٨ كلمة للدكتور طه حسين والعلامة احمد زكي باشا ، وكلاهما اشار الى ان هذه الجمعية نشأت في القرن العاشر ، ولكنهما لم يلمحا الى ماتحويه تلك الرسائل من الكنوز في العلوم الطبيعية .

والغرض من مراقبة الطبيعة عند هذه الجمعية هو التوصل الى الهدف الأسمى والغاية العليا التي هي معرفة الصانع والتقرب اليه بالكمال النفسي ، وهكذا نرى إخوان الصفاء يبدأون بالعلم الأدنى الى ان يصلوا الى العلم الأعلى وهو العلم الالآهي .

واكبر حامل لهم على البحث في العالم كله هو إدراك ماهية الانسان الذي هو ثمرة الطبيعة وتاج الخليقة ، واعتقادهم ان الانسان عالم صغير كما ان العالم انسان كبير فيقولون (ان

جميع السماوات السبع والأرضين ومابينهما جسم واحد بجميع افلاكه وان له نفساً واحدة سارية قواها في جميع أجزائها كسريان نفس الانسان الواحد في جميع أجزاء جسده) .
والطبيعة عندهم تنقسم الى قسمين (الأمهات الكليات) وهي النار والهواء والماء والأرض وثلاثة هي (المولدات الجزئيات) وهي الحيوان والنبات والمعادن . ويعبرون عن الطبيعة بقوة من قوى النفس الكلية المنبثة في جميع الأجسام ويجدون هناك اتفاقاً في المعنى بين التعبير الشرعي للملائكة ، والتعبير الفلسفي لقوى الطبيعة وان كان هناك اختلاف في اللفظ وقوى النفس الكلية الفلكية السارية في جميع الأجسام المسماة (الطبيعة) تنقش اجناس الكائنات وتصورها .

والذي يثير اعجابنا من إخوان الصفا في مباحثهم الطبيعية هو توافق بعض نظرياتهم الطبيعية للنظريات الأوروبية الحديثة ومن اهم هذه النظريات نظرية داروين الانكليزي في النشوء والارتقاء فنجد إخوان الصفاء كانوا يرون ايضاً ان آخر مرتبة من مراتب المعادن متصلة بأول مرتبة من مراتب النبات ، وان آخر مرتبة من مراتب النبات متصلة بأول مرتبة من مراتب الحيوان وان آخر مرتبة من مراتب الحيوان متصلة بأول مرتبة من مراتب الانسان . ومراتب الانسان عندهم ايضاً ليست واحدة ، فمنهم الذين يسعون الى الكمال النفسي وهم في ارقى الدرجات . وان الأدنى في المرتبة خادم للاشرف ومسخر له فجسم النبات غذاء لجسم الحيوان لأنه دون رتبته ، والنفس الحيوانية مسخرة للنفس الحيوانية الناطقة . فنرى هنا شيئاً من نظرية تنازع البقاء ، التي كان لها شأن في الفلسفة الاوروبية في القرن الماضي ، واكبر الداعين الى هذا المذهب هو الشاعر الفيلسوف الألماني (نيتشه) على ان إخوان الصفاء لايطمئنون الى هذا المذهب ونجد عدم اطمئنانهم في تلك القصة الخيالية المحكية على لسان الحيوانات التي تشتكي ظلم البشر .

وان في آخر كل مرتبة من المراتب جسماً خاصاً ، فاطراف المعادن مايلي الترب الجص وما يلي الياقوت فهو الذهب الأحمر ؛ لأن الياقوت كما يعتقده اكثر علماء الاحجار ارقى مرتبة من مراتب الأحجار . واما مرتبة النبات ما يلي المعادن فهي خضراء الدمن . وارقى انواع النبات النخل . اما رتبة الحيوانية التي تلي رتبة الانسانية فليست من جهة واحدة ، ولكن من عدة وجوه ؛ لأن رتبة الانسان لما كانت معدناً للفضل وينبوعاً للمناقب لم يستوعبها

نوع واحد من الحيوان وانما استوعبتها عدة انواع فمنها ما قارب رتبة الانسانية بصورة جسدية مثل القرد ، ومنها ما قاربه بالاخلاق النفسانية كالفرس ومنها كالطائر الانساني ايضاً ومثل الفيل في ذكائه والببغاء والهزار ونحوهما من الاطيار الكثيرة الاصوات والالحان ، ومنها النحل اللطيف الصنائع الى ما شاكل هذه الاجناس ؛ وذلك انه ما من حيوان يستخدمه الناس ويأنسون به الا ولنفسه قرب من نفس الانسان . على اننا نجد عند غير العلماء كابن خلدون والبيروني ان آخر مرتبة الحيوان المتصلة بالانسان هي القردة فقط[1] :

اما رأي إخوان الصفاء في المادة فيوافق كل الموافقة ذلك العالم الافرنسي الكبير لافوازيه Lavoisier القائل ليس في الطبيعة شيء يحصل من العدم ولا شيء ينعدم ؛ اذ يقولون : «الكون والفساد ضدان لايجتمعان في زمن واحد ؛ لأن الكون حصول الصورة في الهيولى والفساد هو انخلاعها عنه ، فاذا فسد شيء منها فلا بد ان يتكون شيء آخر . لأن الهيولى اذا انتزعت منها صورة البست أخرى ؛ فان كانت التي ألبست أخرى اشرف سمي كوناً ؛ وان كانت ادون سمي فساداً ؛ مثال ذلك : ان يصير التراب والماء نباتاً ويصير النبات حباً وثماراً ، والثمار والحب يصيران غذاء ، والغذاء يصير دماً ولحماً وعظماً فيكون من ذلك حيوان . والفساد ان يحترق النبات فيصير رماداً ؛ او يموت الحيوان فيصير تراباً .

ويظنون ان علل كل ما يحدث في الطبيعة اربعة : علة فاعلة ؛ وعلة هيولانية ، وعلة تمامية ، فالعلة الفاعلة الطبيعة التي أشرت اليها سابقاً . واما العلة الهيولانية لها ، فهي الزئبق والكبريت . وعلى قدر اختلاف هذين الجسمين تحصل المعادن المختلفة . وقد زعم جابر ابن حيان الكيماوي ذو الشهرة الواسعة في تاريخ الكيمياء ؛ ان العناصر مركبة من جوهرين اثنين ؛ ذكر وأنثى ، جسد وروح ، احمر وابيض ، طائر وثابت ؛ ارض وماء ؛ كبريت وزئبق[2] . وهذا المثل يطابق كل المطابقة تقسيم العناصر على الطريقة الكهربائية الحديثة المعبر عنها بالكاتيون Kasion والانيون Aniod .

(١) راجع مقدمة ابن خلدون — بيروت ١٨٨٦ ص ٨٤ .

(٢) راجع المصنفات في علم الكيمياء للحكيم جابر بن حيان الصوفي ، نشره ارك يحيى هوليارد باريس ١٩٢٨ ص٥٣ . ومن الذين عينوا الزمن الذي عاش فيه هذا العالم الاستاذ روسكا والدكتور كراوز في برلين .

ولإخوان الصفا آراء صائبة في كثير من حوادث الطبيعة في عصر لم يكد يعرف البحث البشري عنها الا الشيء القليل . فنجدهم يصفون المطر ، والصاعقة ، وكيفية تكون المعادن ، والمد والجزر ، والينابيع الارتوازية ، وكيفية تجمع مياه الأنهار ومسيرها الى البحر ، وكثير من التدقيقات الجيولوجية . فيقولون عن المطر انه من تصاعد البخارات ومن أحب ان يعلم صدق قولنا وبتصور كيفية وصفنا ... فلينظر الى تصعيدات المياه وتقطيرها وكيف يعمل منها أصحابها ، مثل تصعيد ماء الورد والخل المصعد وماشاكلها ، ومثل البخارات الصاعدة في بيوت الحمامات وكيفية تقطير الماء من سقوفها .

ولقد لفتت نظر الاستاذ روسكا كيفية تكون البراري لدى إخوان الصفاء حيث يجد فيها الانسان أساس النظرات الجيولوجية الحديثة [1] فنجدهم يقولون : « ان الأرض بجميع ماعليها من البحار والجبال والبراري والأنهار والعمران والخراب هي كرة واحدة معلقة في الهواء في مركز العالم ... فمنها مواضع براري وقفار وفلوات وخراب . ومنها مواضع الجبال والتلال والارتفاع والانخفاض ، ومنها مواضع المراعي والقرى والمدن والعمران ... وان هذه الارض تتغير وتتبدل على طول الدهر والأزمان وتصير مواضع الجبال براري وفلوات ، وتصير مواضع البراري بحاراً وغدراناً وانهاراً ، ويصير مواضع البحار جبالاً وتلالاً وسباخاً وآجاماً ورمالاً ، وتصير مواضع العمران خراباً ، ومواضع الخراب عمراناً .... وان البحار هي كالمستنقعات على وجه الارض ، فان الجبال منها كالمسنوات والبريدات لها لتفصل البحار بعضها من بعض ولئلا يكون وجه الارض كله مغطى بالماء . وذلك انه لو لم تكن الجبال على وجه الارض وكان وجهها مستديراً ،ملساً لكانت مياه البحار تنبسط على وجهها فتغطيها من جميع جهاتها ... وكان وجه الارض كله بحراً واحداً ... وان الأودية كلها تبتدىء من الجبال والتلال وتمر في مسيلها وجريانها نحو البحار والآجام والغدران . وان الجبال من شدة إشراق الشمس والقمر والكواكب عليها بطول الأزمان والدهور تنشف رطوبتها وتزداد جفافاً ويبساً ، وتنقطع وتتكسر ، وتصير أحجاراً أو صخوراً أو حصى ورمالاً . ثم ان الأمطار والسيول تحط تلك الصخور

(١) راجع Isis عام ١٩١٤ وص ٣٤٥ .

والرمال الى بطون الأودية والأنهار ، ويحمل ذلك شدة جريانهـا الى البحار والغدران والآجام . وان البحار لشدة أمواجها وشدة اضطرابها وفورانها تبسط تلك الرمال والطين والحصى في قعرها سافاً على ساف بطول الزمان والدهور ، ويتلبد بعضها فوق بعض ، وينعقد وينبت في قعور البحار جبالاً وتلالاً كما تتلبد من هبوب الرياح دعاص الرمال في البراري والقفار .... وكما انطمت قعور البحار من هذه الجبال والتلال التي ذكرناها انها تنبت فان الماء يرتفع ويطلب الاتساع وينبسط على سواحلها نحو البراري والقفار ويغطيها الماء ، فلا يزال ذلك دأبه بطول الزمان حتى تصير مواضع البراري بحاراً ، ومواضع البحار يبساً وقفاراً ، وهكذا لا تزال الجبـال تتكسر وتصير أحجاراً وحصى ورمالاً تحطها سيول الأمطار وتحملها الى الأودية والأنهار بجريانها حتى البحار ، وتنعقد هناك كما وصفنا ، وتنخفض الجبال الشامخة وتنقص حتى تستوي مع وجه الارض ، وهكذا لا يزال ذلك الطين والرمال تنبسط في قعر البحار وتتلبد وتنبت عنها التلال والروابي والجبال ، وينضب من ذلك المكان الماء حتى تظهر تلك الجبال وتنكشف هذه التلال ، وتصير جزائر وبراري وتصير ما يبقى من الماء في وهادها وقعورها بحيرات وآجاماً وغدراناً .... فلا تزال السيول تحمل الى هناك الطين والرمال والوحول حتى تجف تلك المواضع وتنبت هناك الأشجار ... ثم يقصدها النـاس .... وتصير مواضع الزروع والنبات بلداناً وقرى يسكنها الناس » .

ويعللون حرارة بعض العيون في الشتاء والصيف على حالة واحدة بان في باطن الارض وكهوف الجبال مواضع تربتها كبريتية فتصير تلك الرطوبات التي تنصب هناك دهنية ؛ وتكون الحرارة فيها راسية دائماً هناك وجوازها عليها ، ثم تخرج وتجري على وجه الارض وهي حارة حامية .

وقد ذكروا ايضاً كيفية حدوث البرق والرعد فقالوا انهما يحدثان من اجتماع بخارين مختلفين بالكيفية ويسمون الاول البخار الرطب والثاني البخار اليابس حتى كادوا يقولون « مثبت ومنفي » . وبما انهم يعللون كل حادثة من حوادث الطبيعـة بمقتضى الامثال التي يرونها فيعللون مثلاً حدوث تلك (القرقعة) باجتماع البخار الرطب باليـابس كما تقرقع الأشياء الرطبة دفعة واحدة اذا احتوت عليها النار ، ولقد علموا بان البرق والرعد يحدثان

في وقت واحد ولكن البرق يصل الى الأبصار قبل الصوت الى المسامع .

ولقد تكلموا عن قوس قزح بانه يحدث في سمك كرة النسيم عند ترطب الهواء وان أصباغه الاربعة موافقة للكيفيات الاربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، والأركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض المعروفة في عهد قدماء اليونان . ولقد ذكروا ايضاً ان علة حدوث قوس قزح لا يفهمها الا المرتاضون بالاشكال الهندسية والامور الطبيعية والنسب التأليفية .

ولهم نظريات في الألوان ، فان الألوان المفردة لديهم هي البياض والسواد والحمرة والصفرة والخضرة والزرقة والكدرة . ولحدوث كل لون أسباب عديدة . فالاشياء التي ترى بيضاء بياضها اما لأن النور محبوس فيها لغلبة الرطوبة كاللبن ، او لأن النور مولج فيها لكثرة التخلخل كالملح ، او لأن النور محبوس فيها كالفضة . والنور يرى من وراء الاجسام الشفافة أبيض فان عرض له عارض يرى أصفر ... ومنها مايرى أصفر لأن الحرارة تسد مسامها ، كالاشياء البيضاء اذا طبخت اصفرت . وعلة رؤية الاشياء حمراء شيئان : احدهما الأسباب المعفنات ، والآخر الاسباب المذوبات ، فالمعفنات لكثرة الرطوبة ، والمذوبات لكثرة الحرارة ؛ كالشمس تراها حمراء عند كثرة البخارات . والأثمار ترى حمراء عند النضج لكثرة الرطوبة ، والخضرة والسواد يحدثان من منع النور ان يصير الى البصر خالة؟ ، فالسواد يجمع الألوان والبياض يفرقه وبقية الألوان هي بين هذين الطرفين[1] .

لقد ذكرنا انهم يقسمون الطبيعة الى ثلاثة أقسام : معادن وحيوانات ونباتات ، ويسعون جهدهم في تقسيم كل فرع من الفروع على أسلوب خاص ، ويعتقدون ان لكل نوع من الجواهر المعدنية بقعة مخصوصة وتربة معروفة لايتكون الا هناك كالذهب فانه لايتكون الا في البراري الرملية والجبال والاحجار المختلطة بالتربة اللينة ، والكبريت

---

(١) نظرية الالوان لعبت دوراً عظيماً في اوربا ولقد كتب الشاعر غوته شيئاً عن تاريخ علم الألوان وكنت نشرت كلمة في هذا الصدد في مجلة المعرفة (القاهرة ابريل ١٩٣٢) بمناسبة مرور مائة عام على وفاة غوته .

لا يتكون الا في الاراضي الندية والرطوبات الدهنية والقلقطار(١) ، والأملاح لا تنعقد الا في الارض السبخة والبقاع المشروجة والجص ، والاسفيداج لا يتكون الا في الارض الرملية المختلط ترابها بالحصى والزاجات ، والشبوب لا تتكون الا في التربة العفصة القشفة وعلى هذا القياس حكم سائر أنواع الجواهر المعدنية . ولقد ذكروا ايضاً ان لنضج المعدن لابد من مرور زمن مخصوص ، فالملح يحتاج الى زمن قليل ولكن الياقوت والزمرد يحتاج الى زمن كثير وكذلك الذهب ... الخ .

وعرفوا النبات : بانه كل جسم يخرج من الارض ويتغذى وينمو ، فمنها أشجار تغرس قضبانها أو عروقها ، ومنها ماهي زروع تبذر حبوبها أوقضبانها . ولحصول الافعال الحيوية في النبات اقتضى وجود قوى عديدة مثل الجاذبة والماسكة والدافعة . ويعللون كيفية امتصاص غذاء النبات بما يلي : ان القوة الجاذبة اذا امتصت نداوة الماء بعروق النبات كما يمتص الحجام الدم بالمحجمة أو كما تمص النار الدهن بالفتيلة وجذبتها انجذبت معها الأجزاء الترابية اللطيفة لشدة انجذابها . فنجد هذا التدقيق موافق كل الموافقة لرأي الاوربيين . وقد كانت نظرية الامتصاص غالبة حتى ظهور الانحلال الضغطي المعبر عنه (Osmose)

ويقسمون النبـاتات بطرق مختلفة : فاولاً الشجر الكامل الذي يحتوي على الأصل والعروق والقضبان والورق والثمر والصمغ ، ثم الناقص ، ثم الشجر المنتصب ، والشجر الذي ينبت على وجه الارض والذي ينبت على وجه الماء كالطحلب ، وما ينبت تحت الماء كالأرز وقصب السكر . وكذلك النجم وهو الشجر الذي يتسلق على الأخشاب كالكرم. ويقسمون ايضاً النبات على حسب المكان فيذكرون نبات البلاد الحارة ، والمعتدلة والباردة.

ويعبرون عن الحيوان بانه جسم متحرك حساس يتغـذى وينمو ويحس ويتحرك حركة مكان . وان من الحيوان ماهو في أشرف المراتب مما يلي مراتب الانسان ... ومنه ماهو في أدنى رتبة مما يلي النبات . وهو كل حيوان ليس له الا حاسة اللمس كالأصداف أو كأجناس الديدان التي تتكون في الطين أو في الماء أو في الخل أو في الثلج أو في لب

---

(١) القلقطار هو تعبير يوناني معناه الزاج الأصفر وتركيبه الكيماوي كبريتات الحديد .

الثمر أو في الحب أو في لب النبات ، حتى كادوا يتكلمون عن الجراثيم . ويقسمون الحيوانات على حسب الحواس الخمس : فان منها ماله لمس فقط كالديدان المذكورة ومنها ما له لمس وذوق كالحيوانات التي تعيش في قعر البحار والمياه والمواضع المظلمة ومنها ما له لمس وذوق وشم وسمع والا كل من له الحواس الخمس . ويقسمون الحيوانات على حسب السير ايضاً : فمنه مايتدحرج كالدودة ، ومنه ماينساب كالحية ، ومنه ما يدب كالعقرب ومنه مايعدو كالفأر ، ومنه مايطير كالطيور ... الخ . وكذلك يقسمون الحيوانات من جهة البنية .

وان أسمى غاية لديهم هي الاعتبار ومعرفة دقيق صنع الباري فيقولون : « ان اكثر الناس يتعجبون من خلقة الفيل اكثر من تعجبهم من خلقة البقة . فان الصانع البشري يقدر على ان يصور فيلاً من الخشب اومن الحديد او من غيرها بكماله ، ولا يقدر احد من الصناع ان يصور بقة لا من الخشب ولا من الحديد » . ولقد ضربوا مثلاً لفكرة القيامة بفرخة الدجاج التي تخرج من البيضة . وانها اعجب من خروج الناس من قبورهم يوم القيامة لولا جريان العادة بذلك ، فيريدون بذلك عدم المرور (مروراً سطحياً) على كل ماتشاهده من الطبيعة .

دقق عدد كبير من العالمين الأوربيين في اخبار اخوان الصفا وفحصوا علمهم وفلسفتهم ومراميهم من كل الوجوه . ولاخوان الصفاء علاقة شديدة بالفلسفة اليونانية فهم متأثرون بآراء (الافلاطونية) الجديدة وكذلك بآراء ارسطوطاليس . ولم يعلم السبب في ذلك حتى هذا اليوم . وهناك اسئلة جمة عن اخوان الصفاء لاتزال غامضة حتى يومنا هذا .

برلين : محمد يحيى الهاشمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكلمة الاخيرة

— في الكلمات غير القاموسية —

« او فتاوى علماء اللغة المعاصرين في أصنافها السبعة »

[تمهيد الطريق امام المعجم العتيد]

—⁂—

كنت صنفت الكلمات غير القاموسية (وهي التي لم تدوّن في قواميس اللغة العربية)— الى اصناف سبعة وطلبت رأي إخواني اعضاء المجمع العلمي في أي الاصناف ينبغي قبوله وعدّه عربياً وتدوينه في المعجم العتيد وأي الاصناف لايجوز فيه ذلك . وقد افرغت طلبي في شكل استفتاء أواقتراح نشر في مجلة مجمعنا العلمي (ص ٣٩ مجلد ٨) فكانت اجوبة الاعضاء ترد تباعاً حتى بلغت ١٨ جواباً نشر منها ١٣ في المجلد الثامن و٥ في المجلد التاسع .

وقد رأيت الآن ان ارجع الى هذه الأجوبة فامحضها واستخرج منها زبدة يصح الركون اليها بحيث تكون بمثابة (قرار قطعي) واجب التنفيذ . وقد جريت في استخراج النتيجة على طريقة جمع الآراء والاصوات في كل صنف على حدة ثم المقارنة بينهـا وترجيح ما رجحته الأكثرية ايجاباً أو سلباً في كل صنف من تلك الأصناف .

وكنت وانا أتصفح اجوبة المجيبين أرى اكثرهم يجيب على السؤال نفسه بحيث يمكن التباس عبارته فاقتبسها بنصها بين هلالين وبعضهم يسهب ويستطرد فاضطر ان الخص جوابه بقدر مايفهم منه رأيه . وكان بعض المجيبين يقيد جوابه بشروط (اوتحفظات) وبعضهم يطلق القول اطلاقاً . وكثيراً ما ناقض بعضهم زميله وخالفه في بعض ما ذهب اليه . مثال ذلك ان بعضهم اباح استعمال فعل (خابر) للحاجة اليه وبعضهم منعه لعدم الحاجة اليه ومثله كثير في أجوبتهم .

وهذه (التحفظات) أو (الاختلافات) لو فتحتُ باب الاستفتاء فيها أو الاقتراع عليها ودعوت الاخوان للولوج فيه لطال الأمر . وبقينا في الاخذ والرد الى يوم الحشر .

على أن بعض هذه « التحفظات » ربما كان مما يوافق عليه بقية المجيبين لكنهم اهملوا التعرض له في اجوبتهم حباً بالاختصار او تجنباً للعبث . وسأشير الى هذه التحفظات في محلها .

وها انا ابدأ بتلخيص ما كنت قلته في كل صنف على حدة ثم اتبعه بعبـارة المجيب (بنصّها أو تلخيصها) حتى اذا استوفيت اجوبتهم في صنف انتقلت الى الصنف الذي بعده . وهكذا الى آخر الاصناف السبعة .

« الصنف الأول »

كلمات عربية وردت في كلام فصحاء العرب ولم تدوّنها المعاجم . وقد مثلت لهذا الصنف بكلمة (تبدّى) بمعنى (ظهر) الواردة في شعر عمرو بن معدي كرب فهل نهمل مثل هذا الصنف من الكلمات فلا نستعمله ولا ندونه ؟ او نستعمله وندونه ؟

فاجاب الاساتذة :

١ — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » (نستعمله ولو كره الجامدون) .

٢ — الكرملي « مجلد ٨ ص ١٠٣ » (كل لغوي يوافق على تدوينه) .

٣ — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » (يجب ان يودع المعجم ويعد عربياً محضاً) .

٤ — الغلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » (ما شاع على السنة الفصحاء من الكلمات « غير القاموسية » وكان له اصل في السماع — قبلناه) .

٥ — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (نوافق في صحة استعماله) .

٦ — كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » (يجوز عندي استعماله بلا تردد) .

٧ — نقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » (كيف نبخل على لغتنا بلفظ عربي لعلة انه لم يرد في القاموس ؟) .

٨ — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » (لا يجوز التردد في قبوله) .

٩ — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » (أقول بصحته) .

١٠ — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » (يجب ان نضمه) .

١١ — قسطاكي حمصي «مجلد ٩ص١٧٦» (أنا من أشد المتمسكين به واسبق انصاره) ·
١٢ — عيسى المعلوف «مجلد ٩ ص ٣٥٥» (لا بأس باستعماله) ·
١٣ — سليمان ضاهر «مجلد ٩ ص ٤٨٤» (يجوز استعماله) ·
١٤ — الاسكندري «مجلد ٨ ص ١٠٤» — (نقبله على الرأس والعين بشرط ان يرد في شعر فصيح او نثر اشتهر كنثر الأمثال) ·

أقول: هذا الشرط او هذا التحفظ ليس فيه سوى زيادة الاستيثاق من كون كلمات هذا الصنف فصيحة ·

١٥ — الجابري «مجلد ٨ ص ٣٦١» — قال ما ملخصه: (ما لم يدوّن ولم يشع استعماله ليس من اللغة في شيء ويستثنى من ذلك ما كان مشتقاً تقضي قاعدة الاشتقاق بجوازه وقد روي استعمال بعض العرب له) ·

اقول: ومؤدى (التحفظ) في هذا الجواب ان تكون كلمات هذا الصنف مماتقتضيه قواعد الاشتقاق لامما يناقض القواعد ويشذ عنها ·

١٦ — احمد امين «مجلد ٨ ص ٣٥» — (أدخل منه في المعاجم مانحن في حاجة اليه فقط) ·

أقول هذا (التحفظ) يشبه التحفظ الآتي في جواب الاستاذ النكدي ·

١٧ — النكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» — لم يكن جوابه صريحاً في حكم كل كلمة عربية وردت في فصيح كلام العرب · وانما هواقتصر على كلمة (تبدى) التي ذكرناها مثالاً وقلنا ان معناها ظهر فقال انه لاحاجة لنا بها مادام قد ورد في لغة العرب (٢٤) كلمة كلها تدل على معنى الظهور ورأيه ان لا يكون في لغتنا العربية اليوم كلمات مترادفة: فالاستاذ أحمد امين قال (نقبل من هذا الصنف مانحتاج اليه) وكأن الاستاذ النكدي يوضح لنا في جوابه معنى هذا الاحتياج فهو يقول ان لفعل (تبدى) مرادفات كثيرة فلاحاجة بنا اليه ·

فنستنتج من قولي الاستاذين ان هـذا الصنف من الكلمات غير القاموسية نقبله اذا لم يكن له مرادف لاننا اذ ذاك نكون في حاجة اليه · والا فلا ·

١٨ — ادور مرقص «مجلد ٨ص ٧٤٠» — لم يبحث حضرة المجيب في اصل القاعدة وانما بحث في المثال اعني كلمة (تبدّى) الواردة في شعر عمرو بن معدي كرب فماقاله

(لا أرى ان مجرد استعمال هذا الفصيح البدوي المخضرم (يعني عمرو بن معدي كرب) لفعل (تبدى) يحسب حجة لصحته ولو لزمنا ان نقرّ كل مانطق به عربي جاهلي فصيح — لوجب ان لا ننكر شيئاً من فلتات كلام القوم الكثيرة المخالفة لما عليه جمهور المحققين اه ·

فنستنتج من قول المجيب انه يرفض قبول هذا الصنف ويحسبه من قبيل الفلتات أو الشواذ ما دامت المعاجم لم تذكره ·

انتهى استعراض الاجوبة الثانية عشر فكان منها «١٢» جواباً وافقت على قبول هذا الصنف · وجواب واحد « ادور مرقص » رفض قبوله ·

فالفتوى إذن على قبوله ، فنستعمل كلماته من دون نكير ونودعها معجمنا اللغوي العتيد من دون حرج ·

«الصنف الثاني»

كلمات عربية وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين الذين لا يحتج باقوالهم كفعل (أفصّ) الخبر بمعنى (قصّه) الوارد في قول المؤرخ (الطبري) وكلمتي (نخيم) و (صدفة) في قول العلامتين (اليازجي) و (محمد عبده) ·

فهل تقبل كلمات هذا الصنف وتستعمل وتدون او لا ؟

فاجاب الاساتذة :

(١) — الرصافي « جلد ٨ ص٣٢ » — « أوافق على جواز استعمال هذا الصنف بلا تردد » ·

(٢) — النشاشيبي «جلد ٨ ص٢٨٥ » (هذا الصنف اخو الصنف الأول فيجب أن يودع المعجم ويعد عربياً محضاً) ·

(٣) — كامل الغزي « جلد ٨ ص ٤٨٠ » — قال ما ملخصه : (لا أرى بأساً في استعمال (أفصّ) و(صدفة) فان كلاً من الطبري والشيخ محمد عبده ثقة ، ولا في استعمال كلمة (نخيم) التي أقرها (اليازجي) لانالقياس لا يأباها) اه · فيستنتج من كلام الأستاذ ان كلمات هذا الصنف تقبل وتعد عربية ما دام قائلوها ثقة وما دامت موافقة للقياس ·

(٤) — نقولا فياض «جلد ٨ ص ٥٦٠» — (ان الألفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ما ينوب عنها) .

أقول: عبارة المجيب صريحة في قبول كلمات هذا الصنف وبقية الاصناف حتى الصنف السابع وهو «العامي» لكنه اشترط ان لا نجد ما ينوب مناب الالفاظ الدخيلة .

(٥) — الزهاوي «جلد ٨ ص ٦٨٦» (لا يجوز التردد في قبوله ايضاً) .

(٦) — احمد رضا «جلد ٩ ص ٥٨» — قال ما ملخصه (ان ورود أمثال كلمات هذا الصنف في كلام أئمة اللغة يُنزَّل منزلة التنصيص على نقلهم لها وهم لا يقدمون على استعمال ما لم يروه صحيحاً سائغاً) .

(٧) — قسطاكي حمصي «جلد ٩ ص ١٧٦» (انا ايضاً من أشد أنصار هذا الصنف) ثم حدد زمن الفصحاء الذين ورد هذا الصنف في كلامهم حتى يكون مقبولاً — بالقرن السادس او السابع الاسلامي .

(٨) — عيسى المعلوف «جلد ٩ ص ٣٥٥» قال ما معناه «التساهل في اللغة يقتضي قبول كلمات المولدين والمعاصرين فضلاً عن كلمة «نخيم» التي اقرها العلامة اليازجي .

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

(٩) — الكرملي «جلد ٨ ص ١٠٢» (كل فصحاء العرب الاسلاميين تدون ايضاً) ثم قال ان كلمتي (نخيم) و (صدفة) الواردتين في قولي (اليازجي) و (محمد عبده) ليستا من هذا الصنف ؟ ؟

(١٠) — احمد امين «جلد٨ ص٣٥» (ندخل في المعاجم مانحن في حاجة اليه فقط) .

أقول: هذا الفاضل والفضلاء الخمسة الآتون شددوا في الشروط والتحفظات لكنهم بوجه الاجمال أجازوا كلمات هذا الصنف . ومايدرينا ان معظم المجيبين الاولين الذين اطلقوا ولم يقيدوا — يوافقونهم في تحفظاتهم هذه ؟

(١١) — الغلاييني «جلد ٨ ص٣٥٩» — قال اولاً ما ملخصه: (كلمات الفصحاء الاسلاميين لا نقبلها ما دامت محتملة لان تكون محرفة) ثم قال ما نصه:

واما «صُدفة» (وهي الواردة في كلام الاستاذ الامام) فأرى «ان شيوعها كاف لان يحملنا على قبولها وعدها اسماً بمعنى المصادفة كنظائرها الكثيرة اه» .

أقول : لنا ان نستنتج من مجموع جواب الأستاذ ان كلمات هذا الصنف ان وثقنا بعدم تحريفها وشاعت حتى أنسنا بها قبلناها والا فلا ٠

(١٢) — الاسكندري « جلد ٨ ص ١٠٤ » — قال ما ملخصه : (نقبل ماورد في كلام الفصحاء الاسلاميين الاقدمين كأبي نواس والمتنبي لامن جاء بعدهم ٠ الا اذا وافق القياس) والمتنبي قتل سنة (٣٥٤هـ) ٠

(١٣) — الجابري « جلد ٨ ص ٣٦١ » — مزج جوابه على هذا الصنف مع جوابه على الصنف الاول الذي مر فقال ماملخصه : (مالم يدون ولم يشع استعماله ليس من اللغة العربية في شيء ٠ ويستثنى من ذلك ما كان مشتقاً تقضي القاعدة بجوازه وقد روي استعمال بعض العرب له اي العرب الذين يؤمن لحنهم) ٠

وأطلق المجيب في هؤلاء (العرب) فلعله يريد بهم ما أراده (الاسكندري) اعني الجاهليين الاسلاميين حتى عهد المتنبي ٠

(١٤) — النكدي « جلد ٨ ص ٥٩٧ » — لم يكن كلام الاستاذ النكدي ايضاً صريحاً في كلمات هذا الصنف وانما عمد الى المثال اعني كلمة (اقمص) الواردة في كلام الطبري فقال انها محرفة ولو فرضنا عدم تحريفها لا حاجة لنا بها لوجود ما ينوب منابها وهو (قمص) وكذا (لخيم) و (صدفة) تقوم مقامهما (لخم) و (مصادفة) ٠

اقول وهذا من الاستاذ النكدي مبني على رأيه في وجوب الغاء الترادف او تضييق دائرته والاقتصار من الكلمات المترادفة على افصحها ٠ ويمكن تلخيص جوابه على كلمات هذا الصنف بانه يقبل الموثوق بصحته وما نحن في حاجة اليه منها ٠

(١٥) — رشيد بقدونس « جلد ٩ ص ١٠٣ » — قال ما ملخصه : (نقبله بشرط صحته وعدم وجود اخف منه في مادته) فعلى هذا لا يكون فعل « اقمص » مقبولاً لديه وان صح نقله عن « الطبري » لانه يوجد في مادته فعل (قمص) الثلاثي وهو أخف منه طبعاً ٠

وقد بقي ثلاثة من المجيبين رفضوا قبول هذا الصنف رفضاً باتاً وهم :

١٦ — محمد الخضر « جلد٨ ص ٤١٠ » — قال ماملخصه : (ماورد من هذا الصنف عن العرب الاسلاميين اما محرف أو هو خطأ وقبوله فوضى في اللغة ٠

١٧ — سليمان ضاهر « جلد ٩ ص ٤٨٤ » (لا يجوز اقمص الخبر رباعياً بمعنى قصه

ثلاثياً لعدم النص عليه في المعاجم . أقول : فيستنتج من كلامه ان ما لم تذكره المعاجم من كلمات الاسلاميين لا يجوز استعماله بخلاف الجاهليين كما مر في جوابه على الصنف الاول .

١٨ — أدوار مرقص « جلد ٨ ص ٧٤٠ » — (اذا لم يصح لنا اتخاذ فصحاء الجاهليين حجة فكيف يصح اتخاذ من بعدهم كالطبري ؟) .

انتهت الاجوبة على كلمات الصنف الثاني : فكان من المجيبين ثلاثة رفضوا قبولها و ١٥ منهم قبلوها وبعض هؤلاء اشترطوا وتحفظوا . ولا يضير هذا في قبولهم . فيصح لنا إذن أن نعلن ان الاكثرية أفتت بجواز استعمال كل كلمة وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين وجواز تدوينها في معجمنا المنتظر .

« الصنف الثالث »

الكلمات العربية الاصطلاحية التي وآدها رجال العلوم والفنون والصناعات ولا يعرفها اهل اللسان كقولهم (ميزانية) (كيفية) (كمية) (هيأة المحكمة) (انعقدت الجلسة) (تعريفة الرسوم) في نظير ذلك .

فهل تقبل كلمات هذا الصنف وتدون في المعجم او لا ؟

فأجاب الاساتذة :

١ — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » (ان الذي يمنع جواز استعمال هذا الصنف عليه ان يمنع اولاً : المصطلحات التي اصطلح عليها علماء الاسلام قديماً الخ) يعني المصطلحات القديمة قبلها اسلافنا من دون نكير فالواجب علينا قبول هذه المصطلحات من دون نكير .

٢ — احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » (ارى جواز ادخال كلمات هذا الصنف في القواميس كذلك) اي بشرط الحاجة اليه كما مر اشتراط ذلك في الصنفين الاولين .

٣ — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » (نقبل هذا الصنف بصدر رحب ... وهو عمدتنا وملجؤنا في تنمية اللغة .. وفي رأيي انه يغنينا عن كل دخيل) لكن اشترط الأستاذ ان تجري هذه المصطلحات على قواعد الاشتقاق والمجاز والنسب المقررة في اللغة العربية .

٤ — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » (هذا الصنف كالصنفين الاولين يجب ان يودع المعجم ويعد عربياً محضاً) .

٥ — محمد الخضر : « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (هذا الصنف لمثله تؤسس المجامع اللغوية ومعارضته إماتة للغة لكن يشترط فيه ان يجيء على القياس) .

٦ — كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » — كلمات هـذا الصنف (نعتبرها عربية ونستعملها كما نستعمل الكلمات العربية . (أقول : لكن الاستاذ اشترط في الكلمات المركبة مثل (ملتزم الاعشار) و (مفتش العدلية) ان يستبدل بالمغلوط منها غيرها ان امكن .

٧ — نقولا فياض : « مجلد ٨ ص ٥٦ » جواب الأستاذ على هذا الصنف كجوابه على الصنف الثاني فقد قال : (ان الالفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ماينوب منابها) وقد قلنا هناك ان اطلاقه هذا يشمل الدخيل بجميع اصنافه حتى العامي منها لكن بشرط الحاجة اليه .

٨ — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » قال في هذا الصنف كما قال في اخويه : (لايجوز التردد في قبوله) .

٩ — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » — (هو صحيح واستعماله صحيح بلا مناقشة) .

١٠ — قسطاكي حمصي « مجلد ٩ ص ١٧٦ » (لا أدافع فيه لكثرة فشوه على الاقلام) .

١١ — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » (يلزم الترخيص باستعماله) ثم استشهد الأستاذ بقول ابن ابي الحديد وهو (قد استعملت ... الفاظ القوم من متكلمين وحكماء مع علمي بان العربية لا تجيزها مثل المحسوسات) و (الصفات الذاتية) و (الجسمانيات) ولكني استهجنت تبديل الفاظهم . وتغيير عباراتهم . فمن كلم قوماً كلمهم باصطلاحهم اهـ . »

١٢ — عيسى المعلوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » (ما أمكن إيجاد مقابل له في القديم يكون استعماله أولى) ويعني الاستاذ بالقديم اصطلاحات العرب في عهد حضارتهم فاذا وجدنا لم اصطلاحاً علمياً أو صناعياً أو حكومياً استعملناه وأهملنا الاصطلاح الحديث والا فلا .

١٣ — أدور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » أبان الاستاذ وجه الحاجة الى قبول كلمات هذا الصنف وقد اعتبرها مما وضعه العرب وانما نحن نقلناها الى معنى مصطلح جديد . ثم قال مانصه : « ولكن ينبغي لنا ان نحرص على وضوح العلاقة بين الموضوع له والمعنى المنقول اليه وعلى اتباع الأوزان والأساليب الغالبة على لغتنا الفصحى » .

(١٤) — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » (ان وجدنا في اللغة العربية لفظاً افصح منه بحيث يؤدي معناه استغني عنه والا استعمل) .

(١٥) — الغلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » (الميزانية والكيفية والكمية من الكلمات المألوفة والاخيرتان من الكلمات العلمية التي استعملها الجدود قديماً ومثل ذلك لا يجوز ان يصادم) فالمجيب يفتي بجواز استعمال المصطلحات لكنه يشترط ان لا يكون في اللغة العربية كلمات اليق منها .

(١٦) — التكدي « مجلد ٨ ص ٥٩٧ » اسهب في تحليل الكلمات التي ذكرتها مثالاً لهذا الصنف : فجعل بعضها من العربي الفصيح المقبول من دون نكير وجعل بعضها مما لا حاجة لنا به لوجود ما يسد مسده ثم قال ما نصه : (واما كلمة الرسوم « في قولهم تعريفة الرسوم » — وان كانت نسبتها اللغوية غير متصلة بين معناها الوضعي وما اصطلحت على استعمالها له الحكومة — فقد راجت واشتهرت وكلمة « الخرج » لا تسد مسدها فلا بأس من النظر فيها ثم اقرارها اه) فرأيه اذن بنبذ هذا الصنف قبوله واقراره بشرط أن يروج ويشتهر ولا يوجد في الفصيح ما يسد مسده كما هو الحال في كلمة « رسوم » .

(١٧) — الكرملي « مجلد ٨ ص ٣ — ١ » يرى وجوب غربلة كلمات هذا الصنف : فما ولده السلف مثل (ماهية) قبلناه . وما ولده الخلف قبلنا منه ما نحن في حاجة اليه نحو (ميزانية) . وترفض ما سوى ذلك أمثال (هيأة المحكمة) لاستغنائنا عنه (بجماعة المحكمة) .

(١٨) — الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » جواب الأستاذ الجابري لم يكن مرتباً بحسب ترتيبنا للاصناف السبعة وانما هو اورد اجوبته بطريقة أخرى ولذلك كان استخراج الجواب من كلامه بطريق الاستنباط كما فعلنا في الصنفين الأولين وكما نفعل هنا فنقول انه ذكر من الالفاظ صنفاً عبر عنه بقوله (واما ما اتفقت عليه اهل الاقطار فهذا لا بأس باستعماله وتدوينه وإدخاله الى اللغة لان ذلك من مقتضى اتساع اللغة بامتداد الزمن وحدوث مسميات متجددة اه) فلا جرم انه يريد هذا الصنف الثالث الذي نحن في صدده اعني (الكلمات الاصطلاحية) وظاهر انه أفتى به وأباح استعماله وتدوينه .

انتهت الأجوبة الثمانية عشر على هذا الصنف وهي مجمعة تقريباً على قبوله لاشتداد الحاجة اليه في تنمية اللغة . لكن معظمهم اشترط في قبوله موافقته لاوزان اللغة فتعريفة الرسوم

يجب أن نقول فيها (تعرفة) لا (تعريفة) — وأن لا يوجد في اللغة الفصحى مايسد مسده (فهيأة المحكمة) مثلاً نستغني عنها (بجماعة المحكمة) . وهذه (التحفظات) لا أرى بعض المجيبين يوافق عليها ولو فتحنا باب الاقتراع بشأنها لما وصلنا الى قرار حاسم في بحثنا هذا كما اشرنا في المقدمة . لذلك نكتفي عن النظر في الفروع — بالنظر في الأصول فاذا وجدنا أكثرية المجيبين قبل الصنف اعتبرناه مقبولاً بالجملة كما وقع في الاصناف الثلاثة السابقة والا فلا .

« الصنف الرابع »

المولّد اعني الكلمات التي ولدها العرب الاسلاميون من مادة عربية الأصل مثل (خابره) من (الخبر) و (تفرج) من (الفرج) و (احتار) من (الحيرة) و (تنزه) من (النزهة) الخ .

فهل يجوز استعمال هذه الكلمات وتدوينها في المعجم ؟

فأجاب الاساتذة :

(١) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » (انا مضطرون الى استعمالها شئنا او لم نشأ والقياس في اللغة يؤيدنا) .

(٢) — الكرملي « مجلد ٨ ص ١٠٢ » (انا أوافق من يدونها في المعاجم) .

(٣) — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » (الألفاظ المولدة — واللغة لغة والناس ناس يجب أن تودع المعجم العربي وتعد عربية محضة) .

قوله: (واللغة لغة والناس ناس) يشعر بانه يشترط في قبول الكلمات المولدة ان تكون مما ولده اهل العصور الاسلامية الأولى وزاد ذلك تأييداً قوله في مكان آخر من جوابه (الألفاظ المولدة في العصور السخيفة نبذها فرض) .

(٤) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦» (لامندوحة لنا من قبول كلمات هذا الصنف وقد أتت بكثرة في شعر كبار الشعراء).

(٥) — نقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » يفهم تجويز الأستاذ فياض لكلمات هذا الصنف من عموم قوله السابق : (ان الالفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد

ما ينوب منابها) .

(٦) — احمد امين «مجلد ٨ ص ٣٥» قال ماحاصله «تقبل هذه الكلمات المولدة اذا لم نجد في اللغة ما يسد مسدها» .

(٧) — كامل الغزي «مجلد ٨ ص ٤٨٠» (اذا لم نجد في اللغة ما يغني عن كلمات هذا الصنف فلا بأس من استعماله لانه صار في حكم المصطلح عليه) .

(٨) — ادور مرقص «مجلد ٨ ص ٧٤٠» — (الذي أراه جواز هذا الصنف توسيعاً على نفسنا) ثم اشترط موافقة كلماته للقياس اللغوي .

(٩) — رشيد يقدونس «مجلد ٩ ص ١٠٣» (يقبل من هذا الصنف كل ما لا غنى لنا عنه) .

(١٠) — احمد رضا «مجلد ٩ ص ٥٨» (لا أرى مانعاً من استعمال المولد الشائع ولكنه غير فصيح فهو كاستعمال الوحشي اللغوي: صحيح غير فصيح) .

(١١) — التكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» اشترط الأستاذ التكدي في كلمات هذا الصنف أن تكون في حاجة اليها ولذلك اجاز (تفرج) و (تنزه) للحاجة الماسة اليها ولم يجوز (خابر) و (احتار) لعدم الحاجة اليها بوجود مرادفاتهما اذ يرادف الأولى (راسل وفاوض وباحث) وغيرها ويرادف الثانية (حار وتحير) وغيرهما .

(١٢) — قسطاكي حمصي «مجلد ٩ ص ١٧٦» — (هذا الصنف يجوز لنا قبول بعضه ورد بعضه) ثم قال انه يقبل (خابر) لظهور اشتقاقه من الخبر ولفشو استعماله ولكون (المخابرة) بمعنى (المزارعة) لم تبق معروفة . اما (تفرج) و (احتار) فلا حاجة لنا بها إذ لدينا ما يسد مسدهما فالأستاذ قسطاكي إذن يقبل من كلمات هذا الصنف ما ليس له مرادف ويرفض ما له مرادف .

(١٣) — الغلاييني «مجلد ٨ ص ٣٥٩» بحث الأستاذ في كلمات هذا الصنف بشرطين (١) ان توافق القياس و (٢) أن تشيع على السنة الكتاب الخواص : ففعلا (خابر) و (احتار) جائزان لأنهما شاعا على السنتهم . واما (تفرج) فلا يجوز لانه لم يشع ثم قال «على انه يمكن ارجاع (تفرج) الى اصل لغوي بضرب من المجاز» .

(١٤) — سليمان ضاهر «مجلد ٩ ص ٤٨٤» بحث في الأمثلة ايضاً فاجاز (تفرج)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

و (تنزه) للحاجة اليهما ولشيوع استعمالهما ولم يجوز (خابر) ولا (احتار) لعدم ورودهما في كلام الفصحاء ولعدم الحاجة اليهما : فالأستاذ المجيب يشترط في قبول كلمات هذا الصنف ان يشيع استعمالها في كلام الفصحاء وأن تكون هناك حاجة داعية الى استعمالها .

(١٥) — عيسى المعلوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » (اذا كان لكلمات هذا الصنف مرادفات تؤدي معناها فالأولى العدول عنها والا استعملنا منها مايحمل على القياس) ثم قال ان لفعل (خابر) مرادفاً وهو (فاوض وكالم) ولكلمة (الشرنقة) مرادفاً ايضاً وهو (الفيلجة) فالأولى العدول اليهما .

(١٦) — الاسكندري « مجلد ٨ ص١٠٤ » (كلمات هذا الصنف لايجوز استعمالها) .

(١٧) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (قبول كلمات هذا الصنف يُطلق لكل احد العنان في ان يشتق الكلمة على غير قياس) ويعني بذلك انه لا يجوز استعمالها .

(١٨) — الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » الظاهر من جواب الأستاذ الجابري انه لايجوز استعمال كلمات هذا الصنف لانه اشترط في جواز الكلمة التي لم تدون في المعاجم (ان ينطق بها العرب الذين يؤمن لحنهم) والمفروض في كلمات هذا الصنف انها مولدة وان الذين ولدوها غير الفصحاء من الاسلاميين .

انتهت الأجوبة على هذا الصنف وقد صرح ثلاثة من اصحابها وهم الاسكندري والخضر والجابري برفضه وعدم جواز استعمال كلماته اما الباقون وهم الأكثرية فقد اجازوه ورحبوا بكلماته لما في ذلك من تنمية اللغة وتوسيع نطاق التعبير بها .

نعم لاننكر ان بعضهم اشترط في قبولها الحاجة الداعية اليها وبعضهم اشترط شيوعها على ألسنة الفصحاء وبعضهم موافقتها للقياس ولكن كل هذا لاينبغي ان يحمل على التشاؤم بها والتردد في قبولها والانتفاع بها بالجملة .

« التتمة في العدد الآتي » المغربي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com